

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)





سماء الخطر

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

١ ــ قتيل الفندق ..

اكتظَّت قاعة أفراح الفندق بالمدعوين ، فى حفل زفاف نجل العالم الأثرى المعروف (سيد فهمى) ، إلى فتاة من إحدى الأسر المعروفة بـ (الإسكندرية) ، وبينما كان الجميع يشاركون العروسين حفلهم البهيج ، ظهر رجل أشعث الشعر ، غير مهندم ، يبدو فى حالة يرثى لها ، وهو يتلفَّت يمينًا ويسارًا ، بحثًا عن شىء ما ، ولم يكد يلمحه العالم الأثرى والد العريس حتى ترك مكانه بين المدعوين ، واتجه إليه ، قائلًا فى دهشة ، وهو يقبض على ذراعه :

ــ (نظمى) ؟! يالها من مفاجأة !! متى حضرت ؟

انتفض الرجل ، عندما شعر باليد التى تقبض على ذراعه ، وانتابه شىء من الاضطراب ، ثم لم يلبث أن هدأ قليلًا ، حينما تعرَّف العالم الأثرىّ ، وأخذ يردد :

ــ (سيد) .. (سيد) .. حمدًا لله أننى قابلتك .

ونظر إليه العالم الأثرى فى دهشة ، قائلًا :

ــ ماذا بك ؟ إنك تبدو فى حالة سيئة للغاية .

قال الرجل ، وفى عينيه نظرة فزع :
ــ ألا يمكننا أن نذهب إلى مكان آخر ؛ لنتحدث ؟
العالم الأثرى :
ــ ولكن هذا حفل زفاف ابنى .
ورد عليه الرجل بصوت متوتر :
ــ نعم .. نعم .. أعرف .. ولكن الأمر خطير للغاية .
وسأله العالم الأثرى فى قلق :
ــ ألم تكن فى واحة (البويطى) الأسابيع الماضية ؛ من أجل متابعة البعثة الاستكشافية البلچيكية الفرنسية ؟
وأجابه الرجل بصوت واهن :
ــ نعم .
العالم الأثرى :
ــ وماذا وجدت ؟
الرجل :
ــ هذا ما جئت لأحدثك عنه .. لكن يجب أن نبتعد عن هنا أوَّلًا ؛ فبعضهم يطاردنى .
ونظر إليه العالم الأثرى كما لو كان ينظر إلى مجنون قائلًا :
ــ من هم هؤلاء الذين يطاردونك ؟. وكيف تريد منى أن أترك حفل زفاف ابنى لأذهب معك ؟

قال له الرجل فى رجاء :
ــ أرجوك يا صديقى .. يجب أن تساعدنى ؛ فالخطر الذى سأحدثك عنه يحيط بالعالم كله .
ظل العالم الأثرى جامدًا فى مكانه ، وهو ينظر إلى الرجل تلك النظرة المرتابة ، ثم لم يلبث أن قال :
ــ يبدو أن رحلتك الأخيرة فى الصحراء قد أثَّرت على عقلك .
تشبَّث الرجل بذراع العالم الأثرى قائلًا :
ــ صدقنى إن عقلى سليم تمامًا ، لكن تلك الأشياء التى رأيتها .....
وسرعان ما بتر عبارته ، عندما رأى زوجة العالم الأثرى وهى قادمة نحوهما ..
وألقت الزوجة نظرة دهشة واستنكار على الرجل الرث الثياب ، ثم تحولت إلى زوجها قائلة :
ــ (سيِّد) .. ألن تشارك العروسين فى قطع كعكة الزفاف ؟
قال لها وهو ينظر إلى الرجل متردِّدًا :
ــ نعم .. سآتى .. فقط سأنهى حديثى مع صديقى ، ...

لكن الرجل تراجع إلى الوراء عدة خطوات ، وهو ينظر فى اتجاه الباب المؤدّى إلى قاعة الاحتفالات وعيناه تحملان نظرة فزع ، وأخذ يردّد :

ـــ لا .. لا .. سنتحدث معًا فى وقت آخر ، فلا جدوى للحديث الآن .

ازدادت دهشة العالم الأثرى وهو ينظر إلى صديقه قائلًا :

ـــ ما الذى ألمَّ بك ؟

وظل الرجل يتراجع إلى الوراء وعينه مسلَّطة على الباب ، وهو يقول :

ـــ فيما بعد .. فيما بعد سأشرح لك .

وابتعد مسرعًا وسط جموع المدعوين وهو يكاد يتعثر فى خطواته .

همست الزوجة لزوجها ، وهى ترقب ابتعاد الرجل :

ـــ يخيَّل إلىَّ أننى أعرف هذا الشخص .

قال لها زوجها :

ـــ إنه صديقى وزميلى فى جمعية الآثار المصرية الدكتور (نظمى أمين) ، لقد التقيت به فى إحدى المرات بالنادى .

الزوجة :

ـــ ولكن لماذا يبدو هكذا ؟.. هل شاهدت ثيابه ، وتلك النظرة المذعورة فى عينيه ؟

العالم الأثرى :

ـــ لقد أقدم على عمل منهوِّر منذ عدة أسابيع ، بإصراره على الذهاب بمفرده إلى واحة (البويطى) فى الصحراء الغربية ؛ لمصاحبة بعثة استكشافية أجنبيَّة ، فى أثناء قيامها بالتنقيب عن بعض الآثار الفرعونية القديمة هناك ، على الرغم من أن هذه البعثة قد رفضت تمامًا اصطحاب أى أثرى مصرى معها فى رحلتها ، وإلا اعتبرت ذلك مبرِّرًا لإلغاء الاتفاقية ، التى عُقِدَتْ بينها وبين الحكومة المصرية فى هذا الشأن ، لكن (نظمى) قرر اللحاق بالبعثة على مسئوليته الشخصية ، ودون اصطحاب فريق كشفى معه ، ويبدو أن رحلته الطويلة الشاقة ، ووحدته فى الصحراء قد أحدثتا تأثيرًا ما على تفكيره .

قالت له الزوجة وهى تنهى هذا الحديث ، متأبِّطة ذراع زوجها :

ـــ دعك من هذا الآن .. وهيا لنحضر افتتاح الحفل .

تقدَّم الأب والأم ؛ لاصطحاب ابنهما وعروسه إلى (البوفيه) يتبعهم المدعوُّون ، وسط الموسيقى ومظاهر البهجة والمرح .

فى حين اندفع (نظمى) يركض وسط حديقة الفندق ، وهو يتلفت خلفه فى ذعر واضح ..

وفجأة توقَّف عن الركض ، عندما اصطدم جسده برجل ضخم الجثة ، عريض المنكبين ، يقف فى أحد الأماكن المظلمة من الحديقة كالتمثال الصخرى ، كما لو كان ينتظر قدومه .

وتراجع (نظمى) إلى الوراء ، وقد ازداد الذعر فى عينيه اللتين تسمرت على جسد الرجل الضخم الجثة ، ولم يفطن فى تراجعه الوجل إلى ذلك الشخص الآخر ، الذى فرّ من القاعة هربًا منه ، إلا حينما اصطدم به فاستدار سريعًا ، وقد قفز ذعره إلى ذروته ، وعيناه تحدّقان فى خصمه الجديد ، لكن قبل أن يقدم على أى تصرف .. كان الرجل الشبيه بالتمثال الصخرى قد أطبق بإحدى يديه على شعره ؛ ليجذبه إلى الوراء وقد قيد حركة ذراعه بثنيها خلف ظهره ، فى حين أخرج الشخص الآخر من جيبه مدية ذات نصل حاد مقوَّس ، وقبل أن تنطلق صرخة الرجل المذعور كان ذلك الشخص قد دفع النصل القاتل إلى أمعائه ..

وشهق (نظمى) وجحظت عيناه فى رعب وألم ، قبل أن يسقط كالحجر ، فألقى به الرجلان بين أشجار الحديقة وهمس أحدهما قائلًا :

ـــ البعض قادم إلى هنا .. فلنسرع بمغادرة المكان ، واندفعا يغادران الحديقة فى سرعة ، وبعض الأقدام تقترب .

وفجأة انطلقت صرخة مدوِّية من إحدى السيدات عندما اصطدمت قدمها بجسد الرجل المسجَّى على الأرض وقد سالت دماؤه .

وكانت البداية .

* * *

جلس العالم الأثرى (سيد فهمى) أمام ضابط المباحث وهو فى حالة يرثى لها من الاضطراب والحزن .

وسأله ضابط المباحث الجنائية قائلًا :

ـــ ما علاقتك بالقتيل ؟

العالم الأثرى :

ـــ كان زميلى فى جمعية الآثار المصرية ، وهو حاصل على الدكتوراه فى الآثار الفرعونية ، كما أنه صديق شخصىٌّ لى .

ضابط المباحث :

ــ وما الذى أتى به إلى حفل زواج ابنك ، وهو على تلك الحالة غير الطبيعية ، كما ورد بأقوالك من قبل ؟

العالم الأثرى :

ــ يبدو أنه أراد أن يخبرنى بشىء ما ، اطلع عليه خلال رحلته إلى واحة (البويطى) ، ويبدو أن هذا الشىء على درجة عالية من الخطورة إلى الحد الذى أثار ذعره ، ودفعه إلى مقابلتى فى هذه الليلة قبل أن يعود إلى منزله .. ولكنى لم أعره اهتمامًا حقيقيًا .

ضابط المباحث :

ــ ما الذى أخبرك به على وجه التحديد ؟

العالم الأثرى :

ــ أشياء غير مفهومة مثل .. بعضهم يطاردنى .. والخطر يحيط بالعالم بأسره . وأشياء من هذا القبيل .

لكن من الغريب أنه على الرغم من اهتمامه بالتحدث إلىَّ ، فى هذه الليلة ، إلا أنه توقف فجأة عن إلحاحه .. وأسرع يغادر المكان وهو يقول : إنه لم تعد هناك جدوى الآن من الحديث .

ضابط المباحث :

ــ وما تفسيرك لهذا ؟

العالم الأثرى :

ــ لست أدرى .. لقد ظننت فى البداية أنه يهذى ، وأنه تعرَّض لتلك الحالة المرضيَّة التى يعرفها الرحالة والمستكشفون من أمثالنا ، والتى نطلق عليها اسم : (جنون الصحراء) ، ولكننى أدرك الآن أن اعتقادى لم يكن صحيحًا ، وأن المسكين كان يواجه خطرًا حقيقيًا ، ومن المؤسف أننى استهنت بالأمر ، ولم أقدم له يد المساعدة التى يحتاج إليها ، كما لم أحاول حتى الإصغاء إليه كما ينبغى ، ولكننى لم أتصور أنه سيلقى مصرعه على هذا النحو المروِّع .

ضابط المباحث :

ــ ولكنه تحدث إليك قبل أن يلفظ أنفاسه .. أليس كذلك ؟

العالم الأثرى :

ــ نعم ، لقد انتشر الخبر سريعًا فى أرجاء الفندق ، واندفعت مع الآخرين ، حيث عثروا على جثته ، دون أن يخطر ببالى لحظة واحدة أن ذلك القتيل الذى يتحدثون عنه هو

صديقى (نظمى) ، ولم يكد المسكين يرانى وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، حتى طلب منى أن أقترب منه ، فجلستُ على ركبتىَّ إلى جواره ، وهمس لى بكلمات لا تقل غرابة عن تلك التى سمعتها منه فى الحفل .

سأله ضابط المباحث باهتمام :

ـ ماذا قال لك على وجه التحديد ؟

استغرق العالم الأثرى فى التفكير وهو يحاول أن يتذكر قائلًا :

ـ « الواحة .. الخطر فى السماء .. الكوبرا .. إنهم يعملون على تخريب الأرض » ، ثم لفظ أنفاسه الأخيرة وهو متشبِّث بيدى دون أن أفهم مغزى كلماته .

ظهرت الحيرة على وجه ضابط المباحث وهو يسترجع تلك الكلمات الغامضة ، ولكن العالم الأثرى قطع حبل أفكاره ، وهو يسأله هذه المرة قائلًا :

ـ هل توصلتم إلى القاتل ؟

نظر إليه ضابط المباحث قائلًا :

ـ لم يتحقق ذلك بعد ، ولكن قل لى : هل كان لصديقك أعداء ؟

العالم الأثرى :

ـ مطلقًا .. لقد كان دائمًا محط إعجاب وتقدير الجميع ، وكان حبه وإخلاصه الوحيد منصبًّا على عمله ، ومتابعته الدءوب لكل ما يتعلق بالتنقيب والآثار الفرعونية القديمة .

ضابط المباحث :

ـ ولماذا أصرَّ على مرافقة البعثة الأثرية البلجيكية الفرنسية فى أعمال التنقيب بواحة (البويطى) على الرغم من معارضة الجهات الرسمية لذلك ؟

العالم الأثرى :

ـ كان يرى أنه لابد من مشاركة علماء الآثار المصريين فى التنقيب عن آثار بلادهم ، دون ترك الأمر للأجانب بصورة مطلقة ، فقد كان متعصبًا فى هذه الناحية ، كما كان له السبق فى وضع خريطة تفصيلية لهذه المنطقة بالذات ، تحدد مواقع الآثار المصرية التى ينبغى التنقيب عنها ، وسيطرت عليه فكرة أن الأثريين الفرنسيين قد استغلوا خريطته الأثرية بشكل أو بآخر ؛ لتحقيق كشف أثرى عالمى .

ضابط المباحث :

ـ وما رأيك أنت باعتبارك عالم آثار أيضًا ؟

العالم الأثرى :

ـ لقد كان لى رأى مخالف للمرحوم (نظمى) ، فى هذا

الشأن . وينصبُّ على أن الآثار الموجودة فى تلك المنطقة لم تكن ذات قيمة حقيقية ، تستوجب إيفاد بعثة أثرية للتنقيب ، مع ما يستلزمه ذلك من مصاريف وتكاليف باهظة ؛ لذا فقد بدا لى العرض السخى الذى قدمه الأثريون البلچيكيون والفرنسيون مذهلاً وقتها ؛ لأن مخلفات الأسرة التاسعة ، التى جاءوا للتنقيب عنها فى تلك الواحة ، تزدحم بها المتاحف الأثرية ، ولن يضيف ما سوف يعثرون عليه هناك جديدًا إلى عالم الاكتشافات الأثرية ، ومن ثم فلم أُبد اعتراضًا كبيرًا على انفراد الأثريين الفرنسيين والبلچيكيين بهذا الكشف فى (البويطى) ، وقلت لـ (نظمى) وقتها : إنه لا داعى لتلك الثورة التى يحدثها ، من أجل مصاحبة الفرنسيين والبلچيكيين إلى الواحة دون رغبتهم ، وأن عليه أن يدعهم يشربون المقلب بأنفسهم .

قالها العالم الأثرى ، دون أن يدرك ما تخفيه الأقدار خلف هذه اللعبة الأثرية ..

وخلف الحاجز ..

حاجز الخطر ..

* * *

٢ ــ حياة الخطر ..

فى أحد المطاعم الأنيقة المطلَّة على البحر فى مدينة (أشبيليه) الأسبانية ، جلس (ممدوح) وبصحبته فتاة أسبانية سمراء ، ذات شعر أسود فاحم ، ينسدل فوق كتفيها فى نعومة ، وقوام ممشوق يفيض فتنة وجمالًا ، ووجه ساحر يختلط فيه الجمال الشرقى بالجمال الأوربى ، ومسحة من الحزن تظلل هذا الوجه ، وهى تحرك ملعقتها فى الوعاء الموضوع أمامها ، دون أن تتناول منه شيئًا ، فقال لها (ممدوح) وهو يرقب التعبير المرتسم على وجهها ، محاولًا إضافة لمسة من المرح :

ــ هل ستحدِّقين فى الطعام الموضوع أمامك هكذا طوال الوقت ؟ لو علم الطاهى أن طعامه لا يروق لفتاة بارعة الحسن مثلك ، فقد يؤدى به هذا إلى اعتزال المهنة .

لكن الفتاة تطلعت إليه ، وعلى وجهها ذلك التعبير الحزين ، قائلة فى أسى :

ــ أيتحتم أن تسافر إلى القاهرة غدًا ؟

أجابها (ممدوح) برصانة :

ـــ نعم .. فقد انتهت المهمة التى جئت من أجلها هنا ، ويجب أن أعود إلى بلادى ، وإلى مقر عملى .

قالت له فى تردد يمتزج بالأسى :

ـــ ولكنى .. لكنى .....

قاطعها (ممدوح) قائلًا :

ـــ (ماريا) .. إننى أعرف مشاعرك جيدًا وأقدّرها ، ولكننا اتفقنا منذ البداية .. أن العمل والصداقة هما الشيئان اللذان سيجمعان بيننا فقط ، لقد قدمت لى معاونة لا يمكننى إنكارها ، فى مطاردة مهربى الذهب ، الذين نجحوا فى تهريبه إلى بلادى ، ولكنك تلقَّيت مكافأتك على ذلك .

هتفت الفتاة قائلة فى انفعال :

ـــ تبًّا للمكافأة .. لست أريدها .. وأنت لا تفهم شيئًا .. لقد .. لقد أحببتك ..

فى البداية قبلت العمل معك كمرشدة طمعًا فى المكافأة .. لكننى بعد ذلك شعرت أننى أنزلق إلى حبك ، ولا أريد أن أفارقك .

ممدوح :

ـــ ولكننى مرتبط بعملى ، أكثر من أى شىء آخر .

ماريا :

ـــ يمكننى أن أذهب معك إلى القاهرة .. بل إلى أى مكان فى العالم تذهب إليه .

قال لها (ممدوح) ، محاولًا ألَّا يجرح مشاعرها :

ـــ أما أنا فلا يمكننى أن أربط مصيرك بمصيرى .. ربما لو التقينا فى ظروف أخرى ، ففتاة جميلة مثلك لابد لها من حياة مستقرة ، مع زوج يقدرها ، ولديه القدرة على أن يوفر لها الأمان والطمأنينة ، التى تتمناها أية زوجة ، أما أمثالى فهم يحملون كفنهم فوق أيديهم .. أمثالى لا يستقرون فى مكان ، والمخاطرة جزء من حياتهم ، كما أن المغامرة واقتحام الأهوال ، هو عملهم الأساسى ، والزوجة التى تتزوج من رجل على هذه الشاكلة ، تحيا دائمًا على أعصابها ، ولا تعرف الراحة طريقها إليها ، ولن تعرف كلمة الأمان والاطمئنان طيلة حياتها الزوجية .. سيكون عليها فقط ، أن تنتظر حصولها على لقب أرملة .

قالت الفتاة بإصرار :

ـــ إنك لن تستطيع أن تؤثر على مشاعرى بمثل هذه الكلمات .

ممدوح :

– (ماريا) .. دعينا نحتفظ لهذه الليلة بذكرى سعيدة ، ونفترق بعدها كما يفترق الأصدقاء الأعزاء .

وبينما هما يتحاوران اقترب منهما عازف الكمان ، الذى كان يمر بين الموائد ، وهو يعزف على كمانه ألحانًا عذبة شجية ، فابتسمت الفتاة فى مرارة ، قائلة لـ (ممدوح) :

– إنه يظننا حبيبين يتناجيان، ويريد إضافة شىء من الرومانسية على جلستنا هذه .

تناولت الفتاة ورقتين نقديتين من حقيبتها ؛ لتقدمهما إلى عازف الكمان قائلة :

– لا داعى لهذا ، فهذا الرجل (وأشارت لممدوح) له قلب صخرى ، لا يلين للحب ، ولا يمنح أكثر من الصداقة ..

انحنى عازف الكمان أمام الفتاة برشاقة قائلًا :

– أعتقد أنه حتى القلوب الصخرية يجب أن تلين ، أمام جمالك البارع يا سنيورا .

استدار الرجل لينحنى أمام (ممدوح)بدوره ، وهو يسند الكمان إلى كتفه فى حين كانت يده الأخرى مدلاة بجواره ، وقد أمسك بها الآلة الوترية ، التى يعزف بها على الكمان .

وفى أقل من الثانية ، كانت أصابعه قد ضغطت أحد أجزاء الآلة الوترية المدلاة فى يده ، لتبرز من حوافها شفرة حادة أشبه بالموسى ، وفى الجزء المتبقى من الثانية كانت يده قد ارتفعت فى الهواء ، بالآلة الوترية ، التى تحولت إلى سيف بتَّار ، وهو يستعد ليهوى بها على عنق (ممدوح) .

ولكن هيهات ..

بغريزته المدرَّبة على مواجهة الخطر ، كان (ممدوح) قد التقط الشوكة ، التى يتناول بها الطعام ؛ ليدفع بأسنانها فى فخذ الرجل ، وهو ينحنى برأسه إلى الأمام فى سرعة بالغة ..

وصرخ الرجل عندما انغرست أسنان الشوكة فى جلده ، بعد تمزيقها لسرواله ، لكن صرخته لم تحل بينه وبين أن يهوى بضربته فى الموضع الذى تفاداه (ممدوح) ، وجاءت الضربة من القوة بحيث أطاحت بجزء من مؤخرة المقعد ، الذى كان يجلس عليه ، لكن (ممدوح) استغلّ انفعال الرجل وتألمه ليمسك بساعده فى قوة ، فى أثناء اندفاعه إلى الأمام مع عنف الضربة ، التى حاول أن يوجهها إليه ، ثم حمله فوق كتفه وهو متشبث بذلك الساعد ؛ ليطيح به فوق المائدة ، التى كان يتناول عليها طعامه .



وفى الجزء المتبقى من الثانية كانت يده قد ارتفعت فى الهواء ، بالآلة الوترية ، التى تحولت إلى سيف بتّار ..

وصرخت الفتاة تتبعها الأخريات ، وسط حالة من الفوضى التى سادت المطعم ، فى حين ركّز (ممدوح) انتباهه على غريمه ، الذى كان لا يزال ممسكًا بآلته القاتلة برغم سقطته ، وفى اللحظة التى حاول فيها النهوض ، وجّه (ممدوح) ركلة قوية إلى يده ، أطاحت بآلته ذات الشفرة الحادة ، ثم أعقبها بلكمة عنيفة أطاحت به إلى الوراء ..

وحاول الرجل أن يتناول شيئًا من بين طيات ثيابه ، برغم ترنحه ، لكن (ممدوح) لم يترك له الفرصة ، إذ سدد إليه لكمة ساحقة ، أطاحت به فوق إحدى الموائد الأخرى ، لينزلق من فوقها إلى الأرض ، وقد خمدت حركته تمامًا ..

وتقدم (ممدوح) ، ليجلس بجواره على الأرض ، مرتكزًا على إحدى ركبتيه ، وهو يفتش ثيابه ؛ ليتناول منها ذلك المسدس ، الذى حاول خصمه أن يستخدمه فى أثناء القتال ، ثم التفت إلى مدير المطعم ومجموعة العاملين به ، الذين كانوا ينظرون إلى ما حدث فى دهشة وذهول ، لا يقلّان عن دهشة وذهول رواد المطعم قائلًا :

ـــ هل استدعيتم الشرطة ؟

أجابه مدير المطعم قائلًا :

ـــ نعم .. وهم فى الطريق إلى هنا .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. تحفَّظوا على ذلك الرجل ، حتى يأتى رجال الشرطة فهو قاتل محترف .

ونهض من جلسته ؛ ليسلم المسدس إلى مدير المطعم ، الذى تناوله منه بيد مرتعشة واستطرد :

ـــ وتحفظ على ذلك أيضًا ، ولا تنس عصا الكمان .

سأله مدير المطعم ، وهو يزدرد لعابه قائلًا :

ـــ سنيور .. ما مغزى هذا الذى حدث ؟

ابتسم (ممدوح) ، قائلًا فى سخرية :

ـــ لا شىء .. لقد أراد هذا الرجل أن يفسد علىَّ شهيَّتى بلعبته القاتلة هذه ، فلقَّنته درسًا من أجل ذلك ، وما عدا ذلك . سيكون تفسيره لدى رجال الشرطة المحليين .

ثم نظر إلى رواد المطعم ، الذين لا يزالون فى حالة من الذهول ، قائلًا وهو يحاول إشاعة الاطمئنان فى نفوسهم بابتسامته الواثقة :

ـــ يمكنكم أن تعودوا إلى تناول طعامكم مرة أخرى ، دون قلق ، فقد انتهى العرض المثير ، ولن تروا ما يزعجكم بعد الآن .

وتحوَّل إلى مدير المطعم قائلًا :

ـــ أرجو أن تعد لى مائدة أخرى ولا تنس أن تضيف خسائر المائدة ، التى كانت تجلس إليها هاتين السيدتين ، إلى حسابى .

كانت الفتاة لا تزال واقفة فى مكانها ، وهى ترتعد بشدَّة من أثر الانفعال ، فاقترب منها (ممدوح) ؛ ليتناول يدها برفق ، وهو يدعوها إلى الجلوس إلى إحدى الموائد الأخرى ، وأخذ يمسح على شعرها فى حنان ، حتى هدأ من انفعالها ، لكنها قالت بصوت مرتعش ، ونظرة الفزع فى عينيها :

ـــ من كان ذلك الرجل ؟

أجابها (ممدوح) وهو يحتفظ بالابتسامة على وجهه :

ـــ لا بد أنه أحد أعوان (سانتيلا) زعيم عصابة تهريب الذهب .

وقالت له الفتاة وهى غير مصدقة :

ـــ ولكنك أسهمت فى القبض عليه وعلى عصابته .

ممدوح :

ـــ نعم .. ولكنه لن يعدم وجود أحد الأعوان خارج سجنه ؛ ليعهد إليه بقتلى انتقامًا منى ، قبل أن أغادر (أسبانيا) .

بدا أن الفتاة قد أفاقت من الصدمة التى تعرضت لها منذ لحظات ، فانخرطت فى بكاء حار ، وعاد (ممدوح) ليهدئ من انفعالاتها ، وهو يسند جبهتها إلى صدره ، حتى استردت حالتها الطبيعية ، ثم همس لها قائلًا :

ــ هل رأيت كيف تسير حياة الرجال أمثالنا ؟ أعتقد أن هذا قد أعطاك فكرة واضحة عن نوعية تلك الحياة ، فأنت لن تأمنى حتى إلى تناول وجبة طعام بأحد المطاعم الهادئة ، مع ذلك الرجل الذى تريدين الارتباط به .

انحدرت دمعة صغيرة وأخيرة على وجنة الفتاة ، فقد أدركت أن ما يقوله (ممدوح) صحيح ، وأن أعصابها لن تستطيع تحمل ذلك النوع من الحياة ، وربّت (ممدوح) على يدها فى ودّ ، فى حين كان رجال الشرطة يقتحمون المطعم .

* * *



٣ ــ جريمة غير عاديَّة ..

طرق (ممدوح) الباب عدة طرقات ، قبل أن يدخل إلى غرفة اللواء (مراد) حيث وجده جالسًا أمام مكتبه منهمكًا فى مراجعة بعض الملفَّات الموضوعة أمامه باهتمام ، ولكنه لم يكد يرى (ممدوح) ، وهو يدخل إلى الغرفة ، حتى أزاح الملف الموضوع أمامه جانبًا ، وهو يخلع منظاره قائلًا :

ــ مرحبًا بعودتك لنا سالمًا يا (ممدوح) .. اجلس .

جلس (ممدوح) فى المقعد المواجه لمكتب اللواء (مراد) ، الذى استطرد قائلًا فى مرح :

ــ بلغنى أن أحدهم قد أفسد عليك وجبة شهية ، فى أحد المطاعم الأسبانية ، وأنت برفقة فتاة حسناء .

ابتسم (ممدوح) ، وهو يرد على الدعابة قائلًا :

ــ المعلومات التى وصلت سيادتك صحيحة ، عدا شىء واحد ، وهو أننى لم أفقد شهيتى على الإطلاق ، بل على العكس ، فإن المعركة التى دارت بينى وبين الشخص الذى هاجمنى ، ساعدتنى على هضم الوجبة التى تناولتها هضمًا جيِّدًا .

اللواء (مراد) :

ــ على كل حال لقد أديت مهمتك على خير وجه فى (أسبانيا) ، وأعتقد أنك بحاجة إلى إجازة قصيرة .

ممدوح :

ــ على ألا تتعارض مع العمل .

صمت اللواء (مراد) برهة ، ثم قال :

ــ فى الواقع هناك مهمة قد لا تكون مثيرة تمامًا كالمهام السابقة ؛ لأنها قائمة على الشكوك والغموض ، لا على وقائع محدودة ، أو تهديد واضح ، وكنت أنوى أن أعهد بها إلى المقدم (صلاح) ، لولا الظروف التى يمر بها بخصوص مرض ابنته .

ممدوح :

ــ وما هى هذه المهمة يا « افندم » ؟

اللواء (مراد) :

ــ منذ عدة أيام لقى أحد الأشخاص مصرعه ، وهو عالم آثار مصرى كبير يدعى (نظمى) ، داخل حديقة فندق كبير ، وقد جرت هذه الحادثة فى ظروف غير طبيعية ، حيث حاول عالم الآثار ، فى تلك الليلة التى لقى فيها مصرعه ، التحدث إلى زميله بشأن وقائع غامضة وأحداث غير عادية ،

يبدو أنه اطلع عليها خلال رحلته إلى واحة (البويطى) ، حيث كانت بعثة آثار أجنبية تنقّب هناك عن بعض الآثار الفرعونية القديمة ، وحسبما أدلى به زميله فى التحقيقات ، فقد كان عالم الآثار هذا فى حالة يبدو معها وكأنه يتعرض لخطر داهم ، حتى لقد ظن زميله أنه يمر بحالة جنون مؤقت ، نتيجة بقائه فى الصحراء لفترة طويلة ، لكن الجريمة التى تعرض لها أثبتت أن الرجل كان يواجه خطرًا حقيقيًا ، وأن هناك شيئًا خطيرًا وراء مصرعه .

ممدوح :

ــ وما الذى تحدَّث به ذلك العالم إلى زميله ، قبل وفاته ؟

اللواء (مراد) :

ــ كانت كلماته مبتورة وغير مفهومة ، إلى الحد الذى تبدو معه وكأنها نوعٌ من الهلوسة ، مثل وجود خطر يحيط بالعالم .. الواحة .. الكوبرا .. الخطر فى السماء .. إنهم يعملون على تخريب الأرض .

وقد ردد تلك الكلمات الأخيرة وهو يلفظ أنفاسه .

ممدوح :

ــ إلى هنا لا يبدو أن الأمر يحتاج إلى تدخلنا ، فذلك رجل

لقى مصرعه فى أحد الفنادق ، على يد مجموعة من الأشرار ، وأخذ يردد بعض الكلمات غير المفهومة قبل موته ، وهو أمر من اختصاص المباحث الجنائية ، وليس إدارة العمليات الخاصة ، حتى لو كانت بعض كلماته تدور حول خطر يهدد العالم ، أو شيءٍ من هذا القبيل ، فمن أدرانا أن كلماته هذه لم يكن بها شيء من المبالغة ؟

وقال له اللواء (مراد) ، وهو يرمقه بنظرة ثاقبة :

ـــ ألم يستلفت انتباهك شيء من بين تلك الكلمات المبتورة ، وغير المترابطة ؟

مطَّ (ممدوح) شفتيه قائلًا :

ـــ شيء مثل ماذا ؟ دعنا نستعيد هذه الكلمات .. الخطر يحيط بالعالم .. الواحة .. الخطر فى السماء .. الكو .. الكوبرا .

وتوقف (ممدوح) عند هذه الكلمة ، ثم قال ، كما لو كان قد انتبه لمغزاها فجأة :

ـــ هل تقصد سيادتك أن للأمر علاقة بتلك المنظمة الإجرامية الدولية المعروفة باسم (الكوبرا) ؟

أومأ اللواء (مراد) برأسه مؤيِّدًا ، وهو يقول :

ـــ نعم .. تلك المنظمة التى سبق لك التعامل معها فى مرات سابقة[1] .

أبدى (ممدوح) دهشته قائلًا :

ـــ ربما لم يكن لحديث الرجل أية علاقة بتلك المنظمة على الإطلاق ، وربما كا يقصد أفعى الكوبرا ذاتها ، بافتراض أنه لم يكن يهذى ، فقد يكون قد تعرَّض ـــ فى أثناء رحلته ـــ لذلك النوع من الأفاعى فى الصحراء ، كما أن منظمة (الكوبرا) ذاتها قد تم القضاء عليها ، بعد القبض على زعمائها وأفرادها ، خلال مهمتى الأخيرة ، وأعتقد أنه لم يعد لها وجود .

اللواء (مراد) :

ـــ أولًا : أفعى الكوبرا لا توجد فى أماكن مثل الصحراء الغربية أو واحة (البويطى) ، وثانيًا : إن ارتباط (الكوبرا) بأحداث تشكل تهديدًا للعالم أو خطرًا على البشرية ، أمر منطقى ، تؤكده جرائمها السابقة ، وتاريخ زعمائها الطويل فى الجرائم الدولية ، وهو ما يستوجب منا أن ننظر إلى كلمات ذلك الرجل ، بأكثر من نظرتنا إلى هلوسة شخص يلفظ

---

(١) راجع الأعداد السابقة : العدد (٤٠) رواية (كهف الشيطان) ، والعدد (٤٦) رواية (الثعلب والأفعى) .

أنفاسه الأخيرة ، وثالثًا : إن منظمة (الكوبرا) تكاد تشبه فى تنظيمها منظمة (المافيا) الدولية المعروفة ، فلدى تلك المنظمة دائمًا صف ثان من الزعماء الصغار ، سرعان ما يقفزون إلى مراكز القيادة ، بعد القبض على الزعماء الكبار ، فى انتظار الوقت المناسب لممارسة النشاط الإجرامى ، الذى تتميز به منظمة (الكوبرا) .

صمت (ممدوح) برهة . ثم قال :

ـــ تحليل منطقى ، ولكنه غير قاطع ، فما هى العلاقة بين عالم آثار مصرى وخطر يهدد العالم ، ومنظمة إجرامية دولية مثل (الكوبرا) ؟

اللواء (مراد) :

ـــ هذا ما جعلنى أخبرك أن تلك المهمة تقوم على عنصرى الشك والغموض ، دون وجود وقائع محدودة أمامنا ، ولكننا لا نستطيع أن نتجاهل تلك التحذيرات ، التى وردت على لسان عالم الآثار على أية حال ، خاصة إذا ما كانت تنطوى على ذلك القدر من الخطورة ، التى قد تهدد العالم بأسره كما قال ، ثم إنه هناك شىء آخر يثير الريبة فى هذه القضية .

تطلع إليه (ممدوح) باهتمام قائلًا :

ـــ وما هو ؟

اللواء (مراد) :

ـــ تلك البعثة الاستكشافية ، التى تضم عددًا من خبراء الآثار الفرنسيين والبلچيكيين ، فهى لا تتبع جهة رسمية معينة فى أى من فرنسا أو بلچيكا ، بل تتبع جهة مجهولة تسمى (جمعية التنقيب الدولية) ، وهى جمعية تم تأسيسها منذ عامين فقط ، وإن كانت تضم بين أعضائها خبراء آثار دوليين بالفعل ، ولكن من الغريب إصرار أفراد البعثة على الانفراد بعمليات التنقيب فى (البويطى) بمفردهم ، دون مشاركة الأثريين المصريين .

ممدوح : هل يضمن أحد ألا يكون هؤلاء العلماء ، الأعضاء فى الجمعية المؤسسة حديثًا ، غير خاضعين لنفوذ منظمة (الكوبرا) ؟

اللواء (مراد) :

ـــ ماذا تعنى ؟

ممدوح :

ـــ أعنى أن أمثال هذه الجمعيات العلمية تُتخذ ـــ غالبًا ـــ كستار لأغراض أخرى ، وتنظيمات مشبوهة .

اللواء (مراد) :

ـــ احتمال غير مستبعد .

ممدوح :

ـــ وكيف سمحت الحكومة المصرية لتلك البعثة ، التابعة لهذه الجمعية الغامضة ، بالانفراد بعمليات التنقيب فى واحة (البويطى) دون مشاركة علماء الآثار المصريين لهم ، أو حتى وجود قوة حراسة مصرية برفقتهم ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لقد قدموا إغراءً قويًا من أجل ذلك ، وهو تحمّل جميع مصاريف عمليات التنقيب ، وتسليم الكشف الأثرى بالكامل إلى الحكومة المصرية ، بعد استكشافه . كما قدّموا تعهدًا كتابيًا بتعمير واحة (البويطى) ، على نفقتهم الخاصة ، بمبلغ ستين مليون دولار ، بعد الانتهاء من عملية التنقيب ، وكان لهم مطلب واحد فقط فى مقابل ذلك ، وهو ألّا يشاركهم مصرى واحد فى عملهم .

قال له (ممدوح) بدهشة :

ـــ ستين مليون دولار ؟! ياله من مبلغ !! أية بعثة آثار هذه ؟ وأيّة جمعية تنتمى إليها تلك التى تتحمّل دفع مبلغ ضخم

كهذا ، مقابل عملية تنقيب عن آثار ، كان يمكن للحكومة أن تشاركهم فى تحمل مصاريفها ، وفى مقابل شرط غريب كهذا ؟

صمت (ممدوح) برهة .. ثم قال :

ـــ إن الأمر ينطوى بالفعل على شىء مريب ، والآن بدأت أشاركك فى الرأى يا سيادة اللواء ، أن الجريمة ، التى أدت إلى مصرع عالم الآثار المصرى ، لم تكن جريمة عادية قط .. إنها أشبه بكارثة ..

كارثة رهيبة ..

وكان على حق .

* * *



أثارت مروحة الطائرة (الهليوكبتر) زوبعة من الرمال . فوق المنطقة الصحراوية المتاخمة لواحة (البويطى)

٤ ــ مهمة فى الصحراء ..

أثارت مروحة الطائرة العمودية (الهليوكبتر) زوبعة من الرمال ، فوق المنطقــة الصحراويــة المتــاخمة لواحــة (البويطى) ، وأشار الطيار إلى أطلال بعض البيوت الحجرية القديمة ، بالقرب من أشجار النخيل ، قائلًا للرجلين الجالسين فى المقعد الخلفى :

ــ هذه هى الواحة ..

ثبت أحد الرجلين منظارًا أسود فوق عينيه ، وهو يفتح باب الطائرة ؛ ليهبط منها قائلًا للطيار :

ــ انتظرنا هنا .. لن نتأخر كثيرًا

سار الرجل ذو المنظار الأسود على قدميه ، اللتين انغرستا فى الرمال الصفراء الناعمة ، متجهًا نحو الواحة يتبعه الآخر ، الذى أخذ يتلفت يمينًا وشمالًا فاحصًا المكان ، وما أن اقترب الرجلان من الأرض المتاخمة للواحة ، حتى برز لهما ثلاثة أشخاص ضخام الجثة ، ترتسم على وجوههم ملامح القسوة

والشراسة ، وتقدم أحدهم من الرجلين القادمين ، مشيرًا إليهما بيده ، وهو يستوقفهما قائلًا :

ــ ممنوع الاقتراب من هذه المنطقة أيها السيِّدان ، انها منطقة بحوث أثرية .

أبرز له الرجل ذو المنظار الأسود بطاقته قائلًا :

ــ أعلم ذلك ، ولكنى جئت إلى هنا للقيام ببعض التحريات ، فأنا العقيد (صادق) ، من المباحث الجنائية .

وقف الرجل الضخم متردِّدًا ، فى حين كان زميلاه يضعان أيديهما أسفل ستراتهما ، على نحو يوحى بالاستعداد للقيام بعمل ما ، ثم لم يلبث الرجل أن تخلَّص من تردده ، عندما رأى سيارة (چيب) قادمة نحوهم وهى تنهب الرمال نهبًا ، فى طريقها إلى الواحة ، فقال وهو ينظر إلى السيارة :

ــ إن مسيو (دريان) قادم ، يمكنك أن تطلعه على الأمر بنفسك .

توقفت السيارة (الجيب) . أمام الرجلين ، وهبط منها رجل أشيب الشعر ، له شارب أبيض كثّ يبدو فى الخمسين من عمره تقريبًا .

وبدا أنه يعرف صاحب المنظار الأسود ؛ إذ قال له وهو يهبط من السيارة :

ــ أهلًا بك فى الواحة يا سيادة العقيد .

ألقى الرجل نظرة فاحصة على الشخص الذى يصحب العقيد ، فبادره هذا الأخير قائلًا :

ــ إنه مساعدى .. وقد جئنا لإجراء بعض التحريات هنا . يا مسيو (دريان) .

نظر إليه (دريان) نظرة تنم عن ضيقه ، قائلًا :

ــ أية تحريات يا سيادة العقيد ؟!.. لقد طلبت منى التوجه إلى المدينة ، ومعى بعض زملائى ؛ للإدلاء بأقوالنا ، وفعلنا ذلك على الرغم مما ينطوى عليه هذا الأمر من تعنّت ، وثبت أنه لا علاقة لنا قط بذلك الحادث ، الذى راح ضحيته عالم الآثار المصرى ، ثم تأتى إلى هنا ــ كما تقول ــ للقيام بتحريات !؟ وسيستتبع ذلك طبعًا الإدلاء ببعض الأقوال مرّة أخرى .. ألا تدرك أى وقت تضيعونه بمثل هذه الإجراءات ؟

العقيد (صادق) :

ــ بل أدرك ، ولكننا نقوم بعملنا أيضًا يا مسيو (دريان) .

دريان :

ــ سيادة العقيد .. إننا بعثة استكشافية أثرية ، وقد جئنا

إلى هنا للتنقيب عن كشف أثرى كبير ، خدمة للتاريخ ولبلادكم .. ولست أدرى كيف تتصورون أن تكون لنا علاقة بجريمة قتل ، كتلك التى تتحدثون عنها !!؟

العقيد (صادق) :

ـــ أعدك أننا لن نعطّلكم كثيرًا .. مجرَّد إلقاء نظرة على المكان ، ومحاولة معرفة الجهة التى اتجه إليها الدكتور (نظمى) ، فى طريقه إلى الواحة ، ثم سنرحل سريعًا .

دريان :

ـــ حسنًا .. تفضَّلوا ، ولكن أرجو أن تتمّوا هذا الأمر سريعًا ؛ لنفرغ إلى عملنا .

لاحظ المصاحب للعقيد (صادق) أن الرجلين اللذين اعترضا طريقهما قد سحبا أيديهما من أسفل سترتيهما بإشارة سريعة من زميلهما الثالث ، بناءً على موافقة عالم الآثار الفرنسى ، فابتسم قائلًا لعالم الآثار :

ـــ لرجالك ردّ فعل سريع يا مسيو (دريان) .

قال له (دريان) ، وهو يصحبهما إلى مدخل الواحة :

ـــ أنت تعرف أن الضرورة تقتضى وجود أمثال هؤلاء الرجال ، فنحن نعمل فى مكان موحش من الصحراء ، نتعرّض لمختلف المخاطر من آن لآخر .

العقيد (صادق) :

ـــ لقد عرضنا توفير حماية أمنية لكم ، بوساطة رجال الشرطة ، ولكنكم رفضتم ، وأصررتم على العمل بمفردكم ، دون حراسة ، سوى تلك الموجودة على الحدود المتاخمة للواحة .

دريان :

ـــ إننا لا نريد كشف نتائج أبحاثنا قبل الانتهاء منها يا سيادة العقيد ، ووجود أعداد كبيرة من رجال الأمن المصريين ، لم يكن ليضمن مثل هذه السرية ، بالإضافة إلى أننا نستطيع توفير حماية جيدة لنا ؛ بوساطة أولئك الرجال الممتازين .

غمغم الرجل المصاحب للعقيد (صادق) ، قائلًا لنفسه :

ـــ يا له من سبب واه !

حدَّق العقيد (صادق) ورفيقه فى المنازل الحجرية القديمة ، التى تظلّلها أشجار النخيل العتيقة ، التى تهتز بفعل الرياح ، وبدا المكان موحشًا حقًّا ، وبدت آثار الحفريات واضحة هنا وهناك ، حيث ظهر عشرات من العمال الكوريين المصاحبين للبعثة ، يقومون بعمليات التنقيب ، وقال العقيد (صادق) متسائلًا :

ـــ لم أكن أعرف أن جماعات البدو يتخذون من البيوت

الحجرية مساكن لهم فى الصحراء ، كنت أظنهم يعتمدون على تلك الخيام من جلود وأوبار الماعز ؛ ليقيموا بها حول تلك الواحات المنعزلة .

أجابه (دريان) قائلًا :

ــ لكن هذه المساكن لم تكن للبدو وأعراب الصحراء يا عزيزى ، إنها تمتد إلى أعماق التاريخ السحيق ، إذ أقامها بعض المنبوذين والمنفيين ، الذين طردهم فرعون من عاصمة مصر القديمة إبان حكم الأسرة التاسعة ، فاستوطنوا هذا المكان مع أسرهم ، لفترات طويلة من الزمن ، ثم اختفوا فجأة فى ظروف غامضة ، ولم يرْوِ لنا التاريخ سر اختفائهم المفاجئ ، فيما عدا بعض الروايات ، التى يتناقلها أعراب الصحراء هنا ، عن ظهور أشباح وأرواح فى ذلك المكان ، تتسبَّب فى القضاء على سكانه ، بعد أن حلت عليهم لعنة فرعون ، وهذا ما جعل الواحة مهجورة لسنوات عديدة ، حتى أن بعض البدو كانوا يفضلون أن تنفق إبلهم وجيادهم ، ويموتوا من العطش على الاقتراب من هذه الواحة المسكونة .

قال العقيد (صادق) فى دهشة :

ــ لابد أن أعترف بجهلى فيما يتعلق بالتاريخ .

وقال زميله ساخرًا :

ــ ألم يظهر لكم فى إحدى الليالى شبح من هذه الأشباح ، التى تحوم فى المكان ؟

ردّ عليه (دريان) ، قائلًا باستخفاف :

ــ دعابة طريفة .. ولكن من يدرى ؟.. ربما كانت الأشباح تدّخر لنا مفاجأة فى هذا المكان ، لم يحن الوقت للكشف عنها بعد .. وعلى مسافة قريبة ظهر شخص يضع قبعة عريضة على رأسه ، وكان عريض الصدر ، طويل القامة ، له حاجبان كثّان ، ويتميز بقسمات وجه حادة وقاسية ، وكان يبدو فى الأربعينات من العمر .. ولقد اقترب منهم ، وقدّمه (دريان) قائلًا :

ــ مسيو (كوريل) عالم الآثار البلجيكى ، ومساعدى فى البعثة .

حيّاه العقيد (صادق) وزميله على الرغم من النظرة الباردة ، التى أطلّت من عينيه الضيقتين ، وبعد ثلاث ساعات كاملة ، انصرف العقيد (صادق) ورفيقه من الواحة ، بعد إلقاء عدد من الأسئلة على العاملين بها ، وفحص مواقع العمل فيها ، ومن وراء أحد الجدران الحجرية ، وقف رجل يرقب انصرافهما بعينين ثاقبتين تملئان بغضًا وكراهية ..

كان صاحب العينين كهلًا فى الستين من عمره ، له انحناءة صغيرة فى ظهره ، ولحية بيضاء قصيرة ، ورأس أصلع تمامًا فيما عدا بضع شعيرات بيضاء صغيرة على الجانبين .. واقترب (دريان) و (كوريل) من هذا الرجل ، وبادره (دريان) قائلًا :

ـــ لقد انتهى الأمر على ما يرام ، فهذان الرجلان لم يكشفا شيئًا مثيرًا للريبة فى المكان ، وأعتقد أنهم سيغلقون ملف القضية الآن .

قال الرجل الكهل ، وهو ينظر إلى الرجل المصاحب للعقيد (صادق) ، وقد أخذ يعبث بأصابعه فى لحيته البيضاء :

ـــ لا أعتقد أن الأمر قد انتهى ، على النحو الذى تتصوره .

دريان :

ـــ لماذا ؟ إن ذلك العقيد لم يعثر على أثر واحد يمكن أن يديننا ، أو يلفت الأنظار إلينا .

قال له الكهل ، دون أن يلتفت إليه :

ـــ ليست المشكلة فى ذلك العقيد وتحرياته .. إن المشكلة تكمن فى الرجل الذى يصحبه ..

ثم التفت إلى (كوريل) قائلًا :

ـــ ألم تتعرَّفه يا (كوريل) ؟

بدا (كوريل) كما لو كان يحاول أن يستجمع أفكاره ، وهو يقول :

ـــ أعتقد أننى أعرف هذا الرجل .. لقد رأيته من قبل ، ولكنى لست أذكر أين وكيف ؟

قال الكهل ، وهو ينظر إلى حيث اختفى الرجلان :

ـــ إنه المقدم (ممدوح) .. (ممدوح عبد الوهاب) .

صاح (كوريل) قائلًا :

ـــ نعم .. إنه هو .. لقد تذكرت الآن .

نظر (دريان) إليهما ، قائلًا بدهشة :

ـــ (ممدوح عبد الوهاب) من إدارة العمليات الخاصة ؟!! ألا يوجد اسم هذا الرجل على رأس قائمة أعداء منظمة (الكوبرا) ؟

تحول إليه الكهل ، وهو يتجه إلى الداخل ، قائلًا :

ـــ نعم .. إنك لم تتعامل معه بعد يا (دريان) ؛ لأنك كنت مشغولًا بعملياتنا فى (الهند) وشرقىّ (آسيا) .. إن هذا الرجل من أعدى أعداء المنظمة ، وقد تسبب فى الكثير من

الخسائر لها ، كما أنه مسئول عن القضاء على اثنين من كبار زعمائها .

دريان :

ــ هل يعنى هذا أنهم قد كشفوا حقيقة مهمتنا هنا ؟

ــ أأنت واثق من أن ذلك الرجل لم يثرثر بشىء قبل مقتله ؟

دريان :

ــ رجالنا لم يمنحوه الفرصة لذلك ؛ فقد اغتالوه بمجرد وصوله إلى الفندق ، أكدوا لى ذلك يا مسيو (لويس) .

لويس :

ــ ومع ذلك فإن وجود شخص من العمليات الخاصة ، له مثل هذه الأهمِّية ، مثل (ممدوح عبد الوهاب) ، يعنى أنهم لا ينظرون إلى الجريمة التى وقعت على أنها جريمة قتل عادية .

كوريل :

ــ لا تقلق بالك بشأن هذا المقدم فسوف أتكفل به ، لو حاول التدخل فى عملنا هنا .

لويس :

ــ ليس الأمر بهذه البساطة التى تتصورها

يا (كوريل) .. إن (ممدوح عبد الوهاب) رجل خطير للغاية ، وهو لا يدسّ أنفه فى شىء إلا أفسده ؛ لذا يتعين علينا أن نفتح أعيننا جيدًا ، خاصة ونحن لم ننته بعد من العمل المطلوب منا هنا .

وعلى مسافة غير بعيدة عن الواحة ، كانت الطائرة الهليوكوبتر رابضة فوق الرمال ، والعقيد (صادق) يتحدث مع (ممدوح) قائلًا :

ــ هل أخذت فكرة جيدة عن المكان ؟

ممدوح :

ــ وعن الأشخاص أيضًا .

العقيد (صادق) :

ــ ذلك الرجل المدعو (دريان) أحد علماء الآثار ، المعروفين دوليًّا بالفعل .

ممدوح :

ــ لكن مساعده الذى يدعى (كوريل) لا يمت بصلة للآثار أو المستكشفين .

العقيد (صادق) :

ــ ماذا تعنى ؟

ممدوح :

— إنه أحد الرءوس الصغيرة ، فى منظمة (الكوبرا) الإجرامية . وهذا يدل على أن ما قاله عالم الآثار المصرى قبل موته فيما يتعلق بـ (الكوبرا) كان صحيحًا .

العقيد (صادق) :

— إذن فنحن أمام تنظيم إجرامى كبير . وليست مجرد جريمة قتل عادية .

ممدوح :

— ويجب أن ننظر إلى التهديدات ، التى تحدَّث عنها عالم الآثار المصرى ، قبل أن يفتكوا به ، نظرة جديَّة ..

— سيادة العقيد لقد انتهى دورك هنا ، ويتعين علىَّ الآن أن أبدأ مهمتى .. ستقلّك الهليوكوبتر إلى (مرسى مطروح) ، أما أنا فسوف أكمن هنا ، حتى يحل الليل ؛ لأبدأ فى التسلل إلى الواحة .

العقيد (صادق) :

— ستعود الطائرة إلى أحد المواقع القريبة الموضحة على الخريطة التى معك ، وستكمن فى موقعها حتى انتهائك من مهمتك . وسوف يتولى بعض الأعراب التابعين لنا عملية اخفائها وحراستها ، وفى هذا الموقع على وجه التحديد ،

سينتظر أحد الأعراب من رجالنا عودتك ، لتقديم المساعدة الواجبة .. المهم أن تكون حريصًا ، فأولئك الرجال وأعوانهم من الكوريين ، لا يبعثون على الارتياح مطلقًا ، خاصة بعد أن تبينت لنا العلاقة ، التى تربطهم بتلك المنظمة الإجرامية الخطيرة .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

— اطمئن يا سيادة العقيد ، فلى خبرة طويلة فى التعامل مع تلك المنظمة ، وهم يحتفظون لى بذكريات سيئة للغاية .

قال له العقيد (صادق) دون أن يخفى قلقه :

— هذا أدعى للحرص واليقظة .

وبعدها انصرف ، تاركًا خلفه (ممدوح) ، فى قلب الصحراء ..

وقلب الخطر ..

* * *



٥ ــ واحة المفاجآت ..

زحف (ممدوح) فوق الرمال بخفة وحذر ، واتخذ طريقه بين أشجار النخيل ، متجهًا نحو الواحة ، ومستترًا بالظلام المحيط بالمكان . وفجأة انطلقت صرخات عالية بددت السكون المحيط بالمنطقة ، ورفع (ممدوح) رأسه إلى أعلى ، ليرى أحد الكوريين ، وهو يقفز من فوق إحدى أشجار النخيل ، شاهرًا سيفه ..

وقفز (ممدوح) جانبًا ، فى حركة سريعة ؛ ليقفز الكورى على الأرض غارسًا سيفه ، فى البقعة التى تنحّى عنها (ممدوح) ، وغاصت ضربة السيف القاتلة فى الرمال .

وهنا انطلقت صرخة ثانية لكورى آخر ، وهو يقفز من فوق إحدى أشجار النخيل المحيطة بالمكان ، شاهرًا سيفه بدوره .. وفى هذه المرة كاد حد السيف يطيح برقبة (ممدوح) ، لولا رد فعله السريع ؛ الذى دفعه إلى إبعاد عنقه عن مصدر الضربة الموجهة إليه ، فى أقل من نصف الثانية ، قبل

ورفع (ممدوح) رأسه إلى أعلى ، ليرى أحد الكوريين ، وهو يقفز من فوق إحدى أشجار النخيل ، شاهرا سيفه ..

أن ينهض سريعًا من رقدته ، ليجد نفسه فى مواجهة الكوريين وقد ثنيا جذعيهما ، وتشبَّث كل منهما بسيفه قابضًا على مقبضه بكلتا يديه ؛ استعدادًا للانقضاض عليه ، لكن (ممدوح) لم يمنحهما الفرصة للهجوم ؛ ففى اللحظة التى تأهبا فيها لتوجيه ضربتهما ، كان قد قفز عاليًا فى الهواء ، موجِّهًا ركلة مزدوجة بكلتا قدميه إلى وجهيهما ، أطاحت بكل منهما جانبًا ..

لكن السيفين بقيا فى أيديهما يشكلان مصدر خطر بالغ عليه ..

ثم صرخ أحدهما صرخة مدوية ، وهو يهجم على (ممدوح) ملوِّحًا بسيفه فى الهواء ، ولكن (ممدوح) استقبله بضربة قوية بركبته فى أمعائه ، وهو يميل بجذعه إلى الخلف ، ثم أتبعها بضربة قوية بقبضتيه المضمومتين ، على مؤخرة رأسه ، فى أثناء اندفاعه إلى الأمام ، أطاحت به ، وجعلت سيفه ينغرز فى جذوع النخيل ..

وانقض الآخر مصوِّبًا إليه سيفه ، لكن (ممدوح) نجح فى جذب السيف المغروز فى جذع النخل بقوة ؛ ليصد به ضربة السيف الموجّهة إليه من الكورى الآخر ، ولكن الضربة كانت من القوة ، بحيث شطرت السيف الذى يمسكه (ممدوح) إلى

نصفين ، وبسرعة أدار (ممدوح) ذراعه حول ذراع غريمه ، فى حركة خاطفة ، ليطيح به أرضًا ، اعتمادًا على قوة الاندفاع ، التى حاول أن يهاجمه بها ، وتناول مسدسه سريعًا ، ليصوبه نحو الرجلين ، قبل أن يتأهبا لمهاجمته من جديد .

وفجأة وجد فوهة مسدس آخر تلتصق بمؤخرة رأسه ، وصوتًا يأمره قائلًا :

ـــ حسنًا أيها المقدم .. مازال فى العرض بقية .. ألقِ مسدَّسك على الأرض ، واستدر ببطء .

استدار (ممدوح) ليجد نفسه فى مواجهة (كوريل) ، وعلى وجهه ابتسامة قاسية تنذر بالشر ، فألقى مسدَّسه فى بساطة ، وقال له (كوريل) ساخرًا :

ـــ أنت إذن ذلك الرجل (ممدوح عبد الوهاب) ، الذى تسبَّب فى القضاء على عدد من زعماء (الكوبـــرا) فى (بلچيكا) و (إيطاليا) « لقد سقطت فى أيدينا بسذاجة الهواة ، على الرغم من أننى لا أنكر أنك قدمت عرضًا طيِّبًا ، أمام رجالى الكوريين .

رد عليه (ممدوح) بسخرية مماثلة ، قائلًا :

ـــ وأنت (كوريل) الملقب بسفاح (الكوبرا) .. أليس كذلك ؟

كوريل :

ــ أعتقد أن الدعاية ، التى تحيط بك وببطولاتك ، أقل كثيرًا فى الحقيقة .

حرك (ممدوح) يده اليسرى ؛ ليضع أصابعه على الخاتم الموجود فى خنصره الأيمن ، وهو يقول :

ــ لاتدع المظاهر تخدعك يا عزيزى ، فهذا المسدَّس الملقى تحت أقدامك مثلًا ، له أكثر من استخدام ، فماسورته تطلق الرصاص ، ومقبضه مزوَّد بقاذف لإطلاق بعض الصواريخ الضوئية الصغيرة ، الكافية لإنارة هذه البقعة من الصحراء الغارقة فى ظلام الليل الدامس ، بمجرَّد ضغطة صغيرة على هذا الخاتم ، المزوَّد بـ (ريموت كونترول) لتوجيه الآلة القاذفة فى المقبض ، وهناك أناس على مقربة من هذا المكان ، ينتظرون هذه الإشارة للإطباق على الواحة بقوات كاملة من حرس الحدود ، ومن المؤكَّد أننى سأضغط هذا الزر ، الموجود فى الخاتم ، فى كل الحالات التى ستضطرنى لذلك ، أى فى اللحظة التى ستطلق فيها الرصاص علىَّ ، أو فى حالة محاولة رجالك مهاجمتى ، أو حتى لو حاولت التقاط المسدس من على الرمال .

نظر إليه (كوريل) متردِّدًا ، وراح ينقل بصره بين المسدس و (ممدوح) ، ثم قال :

ــ أنت كاذب .. ولن تستطيع أن تخدعنى ، باستخدام مثل هذه الحيل الساذجة .

قال له (ممدوح) بثقة :

ــ حاول أن تجرب بنفسك ؛ لتتأكَّد من ذلك .

وفى تلك اللحظة اقترب (دريان) قائلًا :

ــ حسنًا يا (كوريل) .. أبعد مسدسك ، ودعنا نتفاهم مع ذلك الرجل .

وبعد قليل من التردد ، أعاد (كوريل) المسدس إلى جرابه ، وهو يسبّ ويلعن ، واقترب (دريان) من (ممدوح) قائلًا :

ــ وأنت يا سيادة المقدم ، تستطيع أن تلتقط مسدسك .

تناول (ممدوح) مسدسه ؛ ليضعه فى جيبه فى حين أردف (دريان) قائلًا :

ــ هأنتذا ترى أننا نقدم الدليل على حسن نوايانا ، والآن هل تأتى معنا ؟.. هناك شخص يرغب فى رؤيتك .

اصطحب (دريان) و (كوريل) (ممدوح) ، داخل

الواحة ، وسار وراءهم الكوريون ، ولاحظ (ممدوح) ، خلال تقدمه داخل الواحة ، عشرات من الكوريين ، الذين كانوا يعملون بالحفر منذ عدة ساعات ، وقد انتشروا فى مواقع مختلفة ، بعد أن تخلصوا من ملابس العمال ، وارتدوا (كنزات) سوداء قاتمة ، تحمل صورة بشعة لأفعى (الكوبرا) فوق صدورهم ، وكل منهم يرتدى شريطًا أسود ، يلتف حول جبهته ، ويحيط برأسه من الخلف ، وقد بدت وجوههم جامدة ، أشبه بالتماثيل ، فى حين أطلّت من أعينهم نظرة عدوانية قاسية ، وأدرك (ممدوح) ـــ لدى رؤيته لهؤلاء الأشخاص ، الذين بدوا كما لو كانوا آلات مدرَّبة ومجهَّزة للقتل ـــ أن ما يدور فى هذا المكان خطير بالفعل ..

ودخل الجميع إلى أحد البيوت الحجرية القديمة ، التى تزيِّنها بعض النقوش الفرعونية ، وكان البيت من الداخل متسعًا يحيط به شىء من الرهبة ، وفى أحد أركانه توجد مصطبة ، أشبه بتلك المصاطب الموجودة فى القرى المصرية ، ولكنها مصنوعة من الرخام الأسود ، وتقدم (دريان) نحو المصطبة ، مستعينًا بالضوء ، الذى ينبعث من بطارية صغيرة ، يحملها فى يده ، وأشار للكوريَّين اللذين تعاونا فى رفع قاعدة المصطبة

الرخامية لأعلى ، كاشفين عن تجويف بداخلها .

وابتسم (دريان) وهو يدعو (ممدوح) كى يتبعه ، داخل هذا التجويف ، ووجد (ممدوح) نفسه يهبط سلَّمًا حجريًّا قديمًا ، داخل تجويف المصطبة يمتد مترين إلى أسفل ، حتى بلغوا بابًا معدنيًّا ضخمًا ، قائمًا على بعد عدة خطوات من السلم الحجرى .

وقال (دريان) ، وهو يشير إلى الباب :

ـــ ستجد وراء هذا الباب الخط الفاصل بين حضارة الماضى وآفاق المستقبل .

وقال (ممدوح) وهو يتأمل الباب المعدنى :

ـــ أعتقد أنكم لم تبذلوا الكثير من الجهد ، للكشف عن ذلك السرداب السرى ، الذى أقامه الأجداد هنا ، فتلك المصطبة الرخامية تلفت الأنظار بلا شك ، داخل البيت الحجرى المهجور ، وببعض الجهد لرفع قاعدتها عرفتم سر السرداب الفرعونى القديم ، الذى انتهى بكم إلى ذلك الباب ، الذى تدَّعى أنه يفصل بين حضارة الماضى وآفاق المستقبل .

(دريان) :

ـــ على العكس يا سيادة المقدم ، كان هذا المنزل المهجور الذى تراه مختفيًا تمامًا عن الأنظار ، وقد تغطَّى بتلٍّ من الرمال

الصفراء ، حتى كشفت وجوده منذ عدّة سنوات عندما جئت مصاحبًا لإحدى البعثات الأثرية الحقيقية هنا ، وقد أخفيت حقيقة وجوده عن بقية المستكشفين ، الذين صاحبتهم وقتها ، ثم ادّعيت أننى قد تهت فى الصحراء . بعد رحيلهم ، وعدت إلى هنا ؛ لأستكشف حقيقة ذلك البناء الحجرى ، المختفى وسط الرمال ، ظنًّا منى أنه يحتوى على كنز الهاربين من طغيان الفرعون ، ولكنى كشفت أنه يحتوى على ذلك السرداب ، الذى كان يضم رفات الموتى ، من الذين استوطنوا ذلك المكان .

قال (ممدوح) متهكّمًا .

ــ وهل وجدت بداخله الكنز ، الذى كنت تبحث عنه ؟

ابتسم (دريان) قائلًا :

ــ بل وجدت ما هو أهم من ذلك .. وجدت موقعًا فريدًا وسرّيًا فى تلك الصحراء ، لخدمة أغراض منظمة (الكوبرا) .

وأكمل (ممدوح) قائلًا :

ــ ثم عدت مع تلك البعثة الاستكشافية الزائفة ، التى تضم مجموعة من القتلة والمجرمين ، بدعوى التنقيب عن

الآثار ، تحت ستار ما يسمى بالجمعية الدولية للتنقيب ؛ من أجل تحقيق أغراض المنظمة .. أليس كذلك ؟

دريان :

ــ تمامًا .. وعندما حاول عالم الآثار المصرى التدخل فى عملنا ، وجاء إلى هنا ؛ ليقحم نفسه فى المهمّة ، التى جئنا من أجلها ، كان لابد من التخلُّص منه .. وأن تعترف بأننى قد كشفت لك عن مفاجأة ، بما قلته لك الآن .

ممدوح :

ــ نعم .. إننى أعترف بذلك .

دريان :

ــ وليست هذه هى آخر المفاجآت .. فسوف تجد الكثير منها هنا .

وضغط (دريان) جهاز (ريموت كونترول) فى يده ، فانفتح الباب المعدنى كاشفًا عن مفاجأة أخرى .. مفاجأة حقيقية .

* * *

٦ ــ الخطر المجهول ..

وجد (ممدوح) نفسه داخل قاعة ضخمة ، مزودة بأحدث المختبرات العلمية والأجهزة الإلكترونية والكهربائية ، التى لم يسبق له أن رأى مثلها من قبل ..

كانت هناك العديد من الموائد المتراصة ، التى حملت فوقها عددًا من الزجاجات والأنابيب وأجهزة التقطير ، وكان فى وسط القاعة جهاز غريب الشكل ، ثبت فى مقدمته هيكلان لصاروخين متوسّطى الحجم ، وكان هناك خمسة رجال يعملون فى مجالات شتى ، داخل هذا المختبر العلمى ، بعضهم يشرف على أجهزة التقطير ، والبعض الآخر يعالج بعض المواد الكيميائية داخل الأنابيب ، والبعض الثالث يقف أمام الأجهزة الكهربائية والإلكترونية ، التى تمتلئ بالعديد من الأزرار والشاشات الإلكترونية ، فى حين جلس أحد الأشخاص أمام الجهاز الغريب ، الذى يتوسط القاعة ، يفحص هيكلى الصاروخين المعدنيين ، فأطلق (ممدوح) صفيرًا عاليًا ، وهو يقول :

ــ يا له من تحوّل ، ذلك الذى أضفتموه على مقبرة الموتى هذه !! إننى أشعر وكأننى داخل قاعدة إطلاق صواريخ أمريكية ..

قال له (دريان) بهدوء :

ــ إنك محق فيما تقوله ، إلى حد كبير .

نظر إليه (ممدوح) بدهشة ، فى حين تابع (دريان) حديثه قائلًا :

ــ ألم أقل لك : إنك ستجد وراء هذا الباب الحد الفاصل ، بين حضارة الماضى وآفاق المستقبل ؟

قال (ممدوح) وهو لا يزال مندهشًا :

ــ أتقصد أنكم أقمتم قاعدة لإطلاق الصواريخ ، داخل هذا المكان ؟ ولكن لماذا ؟ وكيف استطعتم أن تأتوا بكل هذا إلى هنا ؟

استدار الرجل الجالس أمام الهياكل الصاروخية بمقعده الدائرى ؛ ليواجه (ممدوح) ، وهو يقول بصوت قوى النبرات ، لا يتفق مع عمره الذى تجاوز الستين :

ــ نحن لا نعدم الوسائل التى نستطيع أن نحقق بها غايتنا يا سيادة المقدم .. ولعلك لم تنس ذلك بعد .

حدّق (ممدوح) فى الرجل ، وهو يحاول تذكر ملامحه ، ثم لم يلبث أن قال :

— مسيو (لويس) ؟!.. لم أكن أتوقّع أننا سنلتقى مرّة أخرى ، وفى مثل هذا المكان !!. هل أصبحت تعمل الآن فى التنقيب عن الآثار أنت الآخر ؟

قال له (لويس) مبتسمًا :

— أنت تعرف بحكم خبرتك معنا ، أن التنقيب عن الموت هو إحدى هواياتى .

(ممدوح) :

— حسنًا ..إن وجود رأس كبير لـ (الكوبرا) ، فى هذا المكان ، يدل على أنكم تدبرون لعمل كبير بالفعل ..... تُرى ما هو ذلك العمل ، الذى جاء بكم إلى واحة فى الصحراء ؛ لتقيموا بها معملًا على أحدث طراز ، وقاعدة لإطلاق الصواريخ ، وأجهزة لتكييف الهواء تحت الأرض ، وأسفل الرمال الساخنة ؟

ظل (لويس) محتفظًا بابتسامته الصفراء ، وهو يقول :

— لا تتعجّل الأمور يا عزيزى .. إننى أعرف جيّدًا أنك فضولى أكثر من اللازم .. وأنك متلهّف على تحقيق إحدى بطولاتك معنا ..

ولكن الأمر سيكون مختلفًا هذه المرّة .. تأكد من ذلك ، وتأكد أيضًا أن الفضول قد يأتى لك بالمعرفة التى تبتغيها ، ولكنه سيأتى لك أيضًا بالموت ، فهل تريد اللحاق بأجدادك الذين سبقوك إلى الموت ، فى هذا المكان ؟

ابتسم (ممدوح) قائلًا بدوره :

— مسيو (لويس) .. لقد سمعت عبارات شبيهة بهذه مرات عديدة ، لكن أصحابها غالبًا كانوا هم الذين يلقون حتفهم على يدىّ .

تحرّك (كوريل) بانفعال نحو (ممدوح) ؛ ليطبق على عنقه قائلًا :

— كيف تجرؤ على التحدث هكذا إلى مسيو (لويس) أيها الوغد ؟

لكن (لويس) أشار له بالتوقف ، قائلًا :

— دعه يا (كوريل) .. إن المقدّم (ممدوح) صاحب رصيد من البطولات ، يسمح له بمثل هذه الثقة بلا شك .. لكن تأكد يا عزيزى أن بطولاتك ستنتهى فى هذا المكان ، ما دمت قد جئت إليه بقدميك .

ممدوح :

ـــ لعلك تجهل أنه هناك عشرات العيون ، ترصد هذه الواحة من مسافة غير بعيدة .

ضحك (لويس) قائلًا :

ـــ تلك العيون ، التى كنت تريد جذب انتباههـــا بإشاراتك الضوئية .. أليس كذلك ؟

ممدوح :

ـــ بلى .. وهناك الكثيرون ينتظرون عودتى ، خلال خمسة أيام ، تبدأ من اليوم .. فإذا لم أعد ، فسيكون عليك مواجهة قوات كبيرة من الشرطة ، وحرس الحدود ، الذين يشكّون مثلى فى حقيقة العمل ، الذى يجرى فى هذه الواحة .

برزت أسنان (لويس) ، من خلال ابتسامته الصفراء ، وهو يقول :

ـــ اطمئن يا عزيزى .. إننا بحاجة إلى فترة أقل من تلك الأيام الخمسة ، التى حدّدوها لك ، وبعدها سنكـون نحن أسياد الموقف .. ليس فى هذه البقعة من الصحراء فقط ، ولا فى بلادكم بأسرها .. ولكن سنكون أسياد الموقف بالنسبة للعالم أجمع ، فقد جئنا بك ؛ لأننا بحاجة إليك هنا ، حتى ننتهى من عملنـا .. إننـا نعرف أنهم قد زوّدوك بتـلك الأجهـزة

اللاسلكية ، التى تتيح لك الاتصال بهم ، وتتيح لهم الاتصال بك ، من آن لآخر ، لكي يطمئنوا على قيامك بمهمتك ، على الوجه الأكمل ، ونحن نريد أن يحدث هذا أمام أعيننا هنا ؛ لتطمئنهم على سلامة ما يجرى فى تلك المنطقة ، وأن الأمر لا يعدو سوى وجود بعض الحفريات الأثرية ، التى نقوم بكشفها فى ذلك المكان .. إن ذلك سيضمن لك وقتا أطول تقضيه معنا هنا .

ممدوح :

ـــ وإذا رفضت أن أنفذ رغبتك ؟

لويس :

ـــ لن ترفض .

ممدوح :

ـــ وما الذى سيمنعنى ما دام الموت سيكون فى انتظارى فى كل الأحوال ؟

لويس :

ـــ لأنك رجل فضولى كما قلت .. وفضولك سيدفعك إلى تنفيذ ما أريده ، حتى يتاح لك وقت كاف ؛ لكشف حقيقة ما يدور فى ذلك المكان ، أملًا فى وقفه وإنجاح مهمتك ،

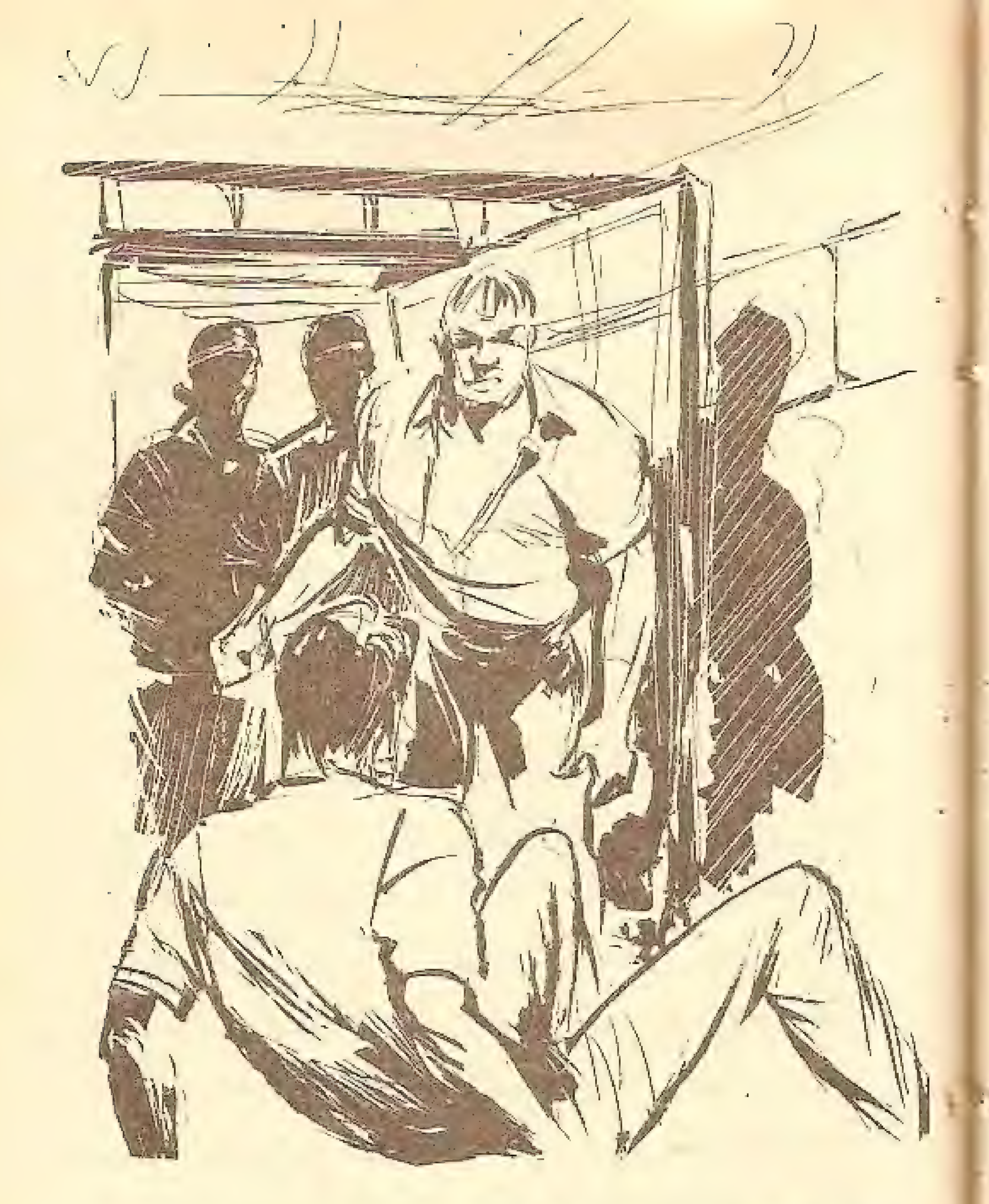
وسوف أتيح لك تعرّف العمل ، الذى نقوم به هنا ، فى مقابل الحصول على الوقت ، الذى نحتاج إليه لإتمامه ، ولن يكون مطلوبًا منك سوى إرسال إشارة لاسلكيّة ، إلى الجهة التى أرسلتك ، تُطمئنها ــ من خلالها ــ على سلامة الوضع هنا ، وأنك لم تجد حتى الآن ما يثير الريبة ، وسوف تتصل بهم فى حالة العثور على أى دليل ، يشير إلى وجود أمور غير عادية ، فى تلك الواحة ، ولكنى لا أعدك أنك ستستفيد بشىء مما ستعرفه هنا ، فكما قلت لك : سيكون الموت هو مصيرك المحتوم فى النهاية ، وستكون هذه هى التصفية الأخيرة لحساباتنا القديمة معك ، أيها المقدم (ممدوح) .. والآن خذه إلى غرفته يا (كوريل) ، ولا تلحق به أذى ، إلا إذا حاول الهرب ، فسوف يكون لى معه عدة لقاءات أخرى فيما بعد .

أخذ (كوريل) ذراع (ممدوح) ، يسبقه أحد الكوريين ، ويتبعه الآخر ، فى حين بقى (دريان) مع (لويس) داخل المختبر العلمى ، وما هى إلا عدة دقائق حتى وجد (ممدوح) نفسه فى غرفة حجرية ضيّقة ، داخل السرداب ، ولكنها محكمة الإغلاق بباب حديدى ، به عدة أقفال تُغلق من الخارج ، ولم تكن الغرفة مزوّدة بأيّة فتحات ، حيث

كانت ــ مثل بقية أرجاء السرداب ــ مزوّدة بمكيّف للهواء .

وعندما خلا (ممدوح) إلى نفسه ، أخذ يفكّر .. ليس فيما آل إليه حاله بعد أن أصبح أسيرًا ، ينتظره الموت بين أيد لا تعرف الرحمة ، ولكن فيما يجرى فى هذا المكان ..

لقد كان واضحًا بالنسبة له ، منذ أن خطت قدماه إلى ذلك المكان ، أن ما يجرى فيه كان مسبوقا بمخطّط كبير ، ومعدًا بعناية فائقة ، فإحضار كل تلك المعدات الحديثة ، إلى هذه البقعة من الصحراء ، وممارسة كل أنواع الخداع ، مع الأجهزة الحكومية ؛ للمجىء إلى تلك الواحة ، بعد اختيار أحد المواقع فيها اختيارًا دقيقًا ؛ لنقل تلك المعدات إليه ، وحجب أية معلومات عن ذلك المكان ، إلى الحد الذى يدعو إلى مطاردة عالم الآثار المصرى ، والتخلص منه ، قبل أن يبوح بسر ما رآه هنا ، وكل أولئك الكوريين ، الذين يبدون كما لو كانوا رجالاً آليين ، يقومون بدور العمال فى النهار ، ويتحولون إلى العمل السرى فى الليل ، بما يتضمنه ذلك من استعدادهم الفطرى ، للفتك بكل من تسوّل له نفسه التدخل فى ذلك العمل ، كما تبدو على وجوههم الشرسة فى ملامحهم القاسية ..



وجاء (كوريل) فى الصباح يطرق الباب وبرفقته الحارسان الكوريان ..

وما رآه بنفسه داخل ذلك المختبر العلمى من أجهزة كيميائية وإليكترونية وتلك الصواريخ ..

كل ذلك ينذر بعواقب رهيبة ، خاصة بعد ما قاله له (لويس) ، من أن تلك العواقب قد تمتد لتشمل العالم بأسره ، وهو نفس ما قاله عالم الآثار المصرى قبل موته ، وهذا يعنى أن عليه أن يتحرك سريعًا ، لمعرفة حقيقة ما يدور فى ذلك المكان ، والعمل على إيقافه بأى ثمن ..

وأدرك (ممدوح) بعد أن أرهق نفسه بالتفكير ، أنه فى حاجة ماسة للحصول على قسط من الراحة ، بعد أن نال منه التعب على أثر الجهد الكبير والأحداث المتلاحقة ، التى مرت به فى هذا المكان ، وسرعان ما أسلم نفسه للنوم ، فوق الأريكة الصغيرة ، الموضوعة فى أحد أركان الغرفة ، حتى يستطيع أن يجدِّد نشاطه ، ويصفِّى ذهنه ؛ للبدء فى العمل ..

وجاء (كوريل) فى الصباح يطرق الباب وبرفقته الحارسان الكوريان ، وقال وهو يوقظه فى خشونة :

ـــ إن مسيو (لويس) فى انتظارك ، وهو يريد منك أن تتوجه إليه سريعًا .

أخذ الكوريان يدفعان (ممدوح) أمامهما فى غلظة ، نحو

الباب المؤدّى إلى المختبر العلمى ، وما أن رآه (لويس) داخلًا حتى هتف به :

ــ هيّا أسرع يا عزيزى (ممدوح) ؛ فذلك الجهاز الذى زوّدوك به يطلق بعض الإشارات اللاسلكيّة ، وهم ينتظرون منك أن تردّ عليهم .

فقال (ممدوح) ، وهو يتأمّل الجهاز اللاسلكى :

ومن أدراك أن الإشارات اللاسلكيّة ، المتفق عليها بينى وبينهم ، لن تُستغل من ناحيتى ؛ لإرشادهم إلى حقيقة ما يجرى هنا ، خاصة وأنكم لا تعرفون الشفرة المتفق عليها ؟

(لويس) :

ــ لقد عملنا حسابًا لذلك ، فربما قمت بالفعل باستخدام الإشارات اللاسلكيّة ، التى نجهل شفرتها ، فى توجيه قوات الحدود والشرطة إلى الحضور إلى هذا المكان ، ولكنى أعدك فى هذه الحالة أنه بمجرد أن تلوح فى الأفق تلك المركبات ، التى ستحمل أصدقاءك إلى هنا ، أن تحصل على ميتة سريعة ، وأن ندمّر كل هذه القوات ، بما نمتلكه من إمكانات ، ومعهم منطقة شاسعة من بلادك الجميلة .. وربما كان ذلك شيئًا متواضعًا ، بالنسبة لأحلامنا التى نسعى إلى تحقيقها ، ولكن

لن يكون هناك مفر من التضحية ببعضها ، فى تلك الحالة ، وباعتبارك رجلًا شديد الثقة بنفسه ، وتعتقد أنك ستستطيع إنقاذ الموقف فى النهاية ، فلا أعتقد أنك ستقدم على ذلك العمل المتهور ، وتضحّى بأحلام البطولة .

ابتسم (ممدوح) وهو يتناول الجهاز ؛ ليرسل الإشارات اللاسلكيّة ، إلى موقع الاستقبال قائلًا :

ــ أنت على حق .. فكلانا يحتاج إلى بعض الوقت .. وأعتقد أننى سأنجح بالفعل فى إيقاف ما يجرى فى هذا المكان فى النهاية ، مهما كانت خطورته .. فقد تعوّدت النجاح معكم دائمًا .

ابتسم (لويس) بدوره ، قائلًا :

ــ حسنًا أيها المقدّم .. لقد كان تخمينى فى محله .. وسترى فى النهاية ما سوف يؤدّى إليه غرورك .. فلن يخدمك الحظ دائمًا .

ولم يدر (ممدوح) أتهديد هذا أم ..
أم نبوءة ..

* * *

٧ ـ الغاز الغامض ..

لم يكد (ممدوح) ينتهى من إرسال الإشارة اللاسلكيَّة ، حتى بدأت عيناه تجولان فى المكان ، حيث رأى (دريان) وهو يقوم بمشاركة بعض الأشخاص ، من العاملين داخل المختبر العلمى ، فى تعبئة بعض الكبسولات ، بنوع من الغازات السائلة ، عن طريق مجموعة من المضخات .

فابتسم قائلا لـ (لويس) بسخرية ، وهو ينظر إلى تلك العملية التى تجرى أمامه :

ـ لعلك تنوى إقامة مصنع للمبيدات الحشرية ، فى ذلك المكان ؟

(لويس) :

ـ إننى أعرف أنك شديد الفضول لما تراه أمامك الآن ، وأنك تظن أن دعاباتك هذه ستدفعنى إلى شرح ما يدور أمامك الآن ، شرحا تفصيليًا ، ولكنى ما زلت أصر على تأجيل الشرح لما بعد ، بعد أن نكون قد انتهينا من عملنا تمامًا .

قال له (ممدوح) ، وهو يحاول استفزازه بالفعل :

ـ وما الذى يدعوك إلى التأجيل ؟ أيعنى هذا أنك خائف منى بعكس ما تدَّعى ؟ .. ألم تقل إن الموت سيكون هو مصيرى الحتمى فى النهاية ، وراهنت على ذلك ؟ إذن فيم مخاوفك من إطلاعى على الحقيقة ؟.. هل تعتقد فى قرارة نفسك أننى ، بعد أن أعرف تلك الحقيقة ، سأستطيع أن أهرب من ذلك المكان ، وأفسد عليك عملك ؟.. إذا كان هذا هو اعتقادك ، يكفينى فخرًا أننى ، وأنا داخل مملكتك ، ووسط أعوانك ، وتلك الأجهزة والمعدات الرهيبة ، أستطيع أن أخيف شخصًا مثلك ؟

أطلق (لويس) ضحكة قصيرة ثم قال :

ـ محاولة ذكية منك أيها المقدم ، لكنها لن تفلح معى ، فلست مستعدًا للتخلِّى عن سرية العمل ، الذى يجرى هنا ، مقابل إثبات استهانتى بك ، على الرغم من أنك لا تخيفنى مطلقًا ، ولكن عملنا لا يحتمل أية أخطاء مهما كانت صغيرة .. لقد وعدتك بأن تعرف حقيقة العمل ، الذى يدور هنا ، فى النهاية ، ولكن ذلك سيكون بعد أن ننتهى منه تمامًا ؛ لتحمل معك معرفتك إلى القبر .. وقتها لن يهمنى أى شىء قط ، سواء أنت أو حكومتك ، أو حتى حكومات العالم كله .

ونظر إلى (كوريل) قائلًا :

ــ والآن يمكنك أن تعيده إلى غرفته .

عاد الكوريان يجذبان (ممدوح) إلى خارج المعمل ، ولكنه ــ قبل أن يغادر الغرفة ــ ألقى نظرة سريعة على إحدى عبوات الغاز ، التى يتم استخدام المضخات فى نقلها إلى الكبسولات ، وقرأ على تلك العبوة حروفًا ثلاثة ، هى (ك . ف . ك .) . وأخذ (ممدوح) يدور فى غرفته ، وهو يحاول التركيز ، مرددًا تلك الأحرف الثلاثة (ك . ف . ك) ، ويتساءل :

ــ تُرى ماذا تعنى هذه الأحرف ؟

أخذ يعتصر ذهنه ، ويحاول استرجاع معلوماته الكيميائية القديمة ، وتلك الغازات التى دُرِّبَ على تعرّفها؛ للوقاية منها ، والتعامل معها ، داخل معامل إدارة العمليات الخاصة ، ولكنه لم يصل إلى شيء ، فجلس فوق الأريكة ، الموضوعة فى إحدى أركان الغرفة ، وقد أسند رأسه إلى يديه ، وهو يُجهد ذهنه ..

وفجأة قفز من فوق الأريكة ، وهو يهتف قائلًا :

ــ غاز (كلورو فلورو كاربون) .. نعم إن تلك

الأحرف الثلاثة تشير إلى أنه غاز (كلورو فلورو كاربون) .. الغاز الذى يستخدم فى بخاخات المبيدات الحشرية وزجاجات العطور ، كما يستخدم فى الثلاجات الكهربائية . إذن فهو لم يبتعد عن الحقيقة تمامًا ، عندما قال لـ (لويس) متهكمًا : إنه ينوى افتتاح مصنع للمبيدات الحشرية فى الصحراء .

واستند إلى الحائط ، وهو يعيد التفكير متسائلًا :

ــ ولكن ماذا سيفعل (لويس) ومنظمة (الكوبرا) بمثل هذا الغاز ؟ وما علاقته بالصواريخ التى رآها ؟ وما علاقة ذلك بالخطر الذى سيهدِّد العالم ؟

قرر (ممدوح) الوصول إلى الحقيقة بأى ثمن ؛ وبأسرع وسيلة ، ومهما كلفه ذلك من مخاطر ، فلم يعد الأمر يحتمل المزيد من الانتظار ..

وفى الساعة المحدودة لإدخال الطعام إلى (ممدوح) ، فتح الحارس الكورى الباب ، وهو يمد يده بصحفة الطعام ، دافعًا إياها على الأرض ، ولكنه لدهشته الشديدة لم ير (ممدوح) داخل الغرفة ، فتلفَّت حوله فى ذعر ، واتسعت عيناه فى دهشة ، عندما وجد (ممدوح) معلقًا بالباب الحديدى ، وهو يلقى عليه تحية المساء ..

وقبل أن يفيق الحارس من دهشته ، ويتناول السلاح المعلّق حول كتفه ، كان (ممدوح) قد تخلّى عن تشبّثه بحافة الباب الحديدى ، وهو يثب إلى الأمام ، فاردًا إحدى قدميه ، وموجّهًا ركلة قوية إلى فك الحارس ، الذى سقط أرضًا ، فانقضّ (ممدوح) على الحارس الملقىّ على الأرض ، موجّهًا إليه ثلاث لكمات قوية وسريعة ، أنهت مقاومته ، وأسلمته إلى غيبوبة عميقة ، ثم تناول سلاحه ، واندفع عبر الباب إلى الخارج ، وما أن فعل ، حتى وجد أمامه أحد الكوريين ، يحاول اعتراض طريقه ، لكن (ممدوح) عاجله بضربة قوية وسريعة ، من مؤخرة السلاح ، الذى استولى عليه ، فألقى به أرضًا ، وأسرع كورى آخر لنجدة زميله ، فانقضّ على (ممدوح) من الخلف ، مقيّدًا حركته ، واستطاع بقوة غير عادية الإمساك بالبندقية الآلية ، التى استولى عليها (ممدوح) ، بكلتا يديه من مؤخرتها وماسورتها الأمامية ، ليحيط بجسمها المعدنى عنق (ممدوح) ، وهو يضغط عليه بقوة ..

وشعر (ممدوح) أن عنقه يكاد يتحطّم ، تحت ضغط الجسم المعدنى للبندقية ، ولكنه تمكّن بصعوبة من إبعاد جسم

البندقية عدة ملّيمترات عن عنقه ، بإدخال أصابع يديه بين جسم البندقية ورقبته ؛ ليحول بينها وبين تفتيت قصبته الهوائية ، وبقى محتفظًا بهذه الملّيمترات التى ، تفصل بين جسم البندقية وعنقه ، باستخدام إحدى يديه ، فى حين امتدّت يده الأخرى إلى وسطه ، حيث انتزع شريطًا صغيرًا من الجلد ، يلتصق بحزامه ، وسرعان ما امتدّت من داخل الحزام إبرة طويلة معدنية ، أخذت تدور بطريقة حلزونية ، مندفعة إلى الخلف ، لتستقر فى أمعاء الرجل الذى يحاول خنقه ، وهى ما زالت مستمرة فى دورانها بشكل حلزونى ، فصرخ الرجل من الألم ، وهو يتخلّى عن البندقية ، التى التقطها (ممدوح) سريعًا ، واندفع يخترق طريقه إلى الأمام ، غير عابئ بالمخاطر التى يمكن أن تتهدده ..

ورأى (ممدوح) (دريان) ، وهو يخرج من المختبر العلمى ، إثر سماعه لصرخة الرجل ، محاولًا الاستفسار عن الأمر فاندفع نحوه ، مصوبًا إليه سلاحه ، وهو يصرخ فيه قائلًا :

ـــ لا تتحرك من مكانك يا (دريان) .. أعتقد أنه هناك حديث بيننا ، لا بد من أن نبدأه الآن .

تجهّم وجه (دريان) لحظة ، ولكنه بدا واثقًا من نفسه ، وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ، قائلًا :

ــ حسنًا .. ما هو الحديث الذى تريد أن نبدأه ؟

(ممدوح) :

ــ أريد أن أعرف شيئًا واحدًا .. ما الذى تدبرونه فى ذلك المكان ؟ وماذا يعنى وجود غاز (الكلورو فلورو كاربون) ، داخل هذا المختبر العلمى ؟

ابتسم (دريان) قائلًا :

ــ إنك رجل ذكى أيها المقدم .. حاول أن تستخدم ذكاءك فى الوصول إلى الحقيقة بنفسك ، وإلا فانتظر حتى تحصل عليها من مسيو (لويس) ، عندما تحين ساعتك .

وضع (ممدوح) إصبعه على زناد البندقية الآلية ، قائلًا بصرامة :

ــ لو لم أعرفها منك الآن ، فسيعنى هذا أن ساعتك قد حانت .

بقى (دريان) محتفظًا بابتسامته ، وهو يقول :

ــ هل أنت واثق من ذلك ؟

قبل أن ينتهى من عبارته ، كانت ماسورة معدنية قد تدلت

من سقف السرداب ، وفى نهايتها (كلابتان) ، أشبه بالمخالب ، أطبقتا على ياقة السترة ، التى يرتديها (ممدوح) ، لتجذبه إلى أعلى فى سرعة غير عادية ، وسُرعان ما أخذت الماسورة المعدنية تدور بـ (ممدوح) ، فى حركة دائرية ، وقد ازدادت سرعتها لتبلغ أقصى مداها ، وانطلقت رصاصتان من بندقية (ممدوح) فى الهواء ، فى أثناء دورانه على هذا النحو ، ولكن سرعان ما سقطت البندقية من يده ، إثر شعوره بدوار شديد ، من تأثير سرعة الحركة الدائرية للماسورة المعدنية عليه ، وتدلّت به الماسورة المعدنية مرة أخرى إلى أسفل ، وهو شبه غائب عن الوعى ، بعد أن انفتحت الكلّابات ، التى كانت تطبق على ياقة سترته ، واستقبله (كوريل) بنظرات وحشية ، وهو يترنح من تأثير الدوار الذى يشعر به ، حيث صوَّب إليه لكمة عنيفة أطاحت به أرضًا ، وكان آخر ما تذكره (ممدوح) ، هو تلك النظرة القاسية على وجه (كوريل) ، والابتسامة الساخرة على وجه (دريان) ..

ثم غاب عن الوعى ..

* * *

٨ — غرفة الإعدام ..

شعر (ممدوح) بثقل شديد فى رأسه ، وفتح عينيه بصعوبة ، وهو يسترد وعيه ، محاولًا تذكّر ما حدث له ..

لقد كان فى طريقه ؛ لإجبار (دريان) على الاعتراف بحقيقة المختبر العلمى السرى ، الذى أقاموه داخل السرداب ، لولا .. لولا .. آه لقد تذكر تلك الماسورة المعدنية ، التى تدلّت من سقف السرداب ، وذلك الشىء الغريب ، الذى أمسك ياقة سترته .. ثم وجه (كوريل) القبيح ، وابتسامة (دريان) الساخرة .. لقد كان هذا هو آخر ما رآه قبل أن يفقد الوعى ..

وأخذ (ممدوح) يتأمل المكان حوله ، لقد نقلوه إلى غرفة أكثر ضيقًا ، ولم تكن هناك أية فتحات تهوية ، والأرض تحته ترابية رخوة ، كما كانت الجدران قديمة متهالكة ..

وفجأة علا صوت من أحد أركان الغرفة ، وكان هذا هو صوت (لويس) ..

كانت الغرفة مزوّدة بميكرفون صغير ، فى ركن خفى من الغرفة ، حيث جاء صوت (لويس) ، قائلًا فى نبرات تحمل شيئًا من السخرية :

— كانت سذاجة منك يا عزيزى ، أن تحاول الحصول على المعلومات التى تريدها ، بهذه الوسيلة التى لجأت إليها ، فذلك النوع من البطولات الانتحارية لن يجدى هنا .. وعلى كل حال فسوف أوفر عليك كل هذا العناء والانتظار ، وأخبرك بحقيقة ما يجرى هنا ؛ لأننى قررت أن أنتهى من أمرك بعد لحظات قليلة من الآن ، بعد أن ثبت لى عدم جدوى الاحتفاظ بك كرهينة بين أيدينا ؛ إذ أن حيلتك قد انكشفت ، ولو أنها لم تكن ذات أهمية كبيرة .. إن (دريان) خبير فى اللاسلكى ، وقد استطاع أن يسجل المدى الذى استخدمته فى إشاراتك اللاسلكية ، وأن يحدد بالضبط الموقع ، الذى يستقبل تلك الإشارات .. وأرسلنا بعضًا من رجالنا إلى ذلك الموقع ؛ لمراقبة تلك القوات من رجال الشرطة وحرس الحدود ، كما ذكرت ، ولكنهم لم يجدوا سوى صفير الرياح .. لقد حاولت كسب المزيد من الوقت ، بادعاء وجود أولئك الرجال ، وأجهزة الاستقبال اللاسلكية . أليس كذلك ؟ على أية حال لقد قاربت مهمتنا

على الانتهاء ، ولم يعد بقاؤك أو عدم بقائك على قيد الحياة له هذه الأهمية ، التى تصورتها فى البداية .. ومن الأفضل تصفية الحساب القديم معك الآن ؛ فبعد قليل سيتسرب من إحدى الفتحات الخفية فى الغرفة غاز سام ، على دفعات تدريجية ، وقبل أن تعبأ الغرفة بالغاز القاتل ، ستكون قد فارقت الحياة ، وسوف نضعك داخل أحد توابيت أجدادك العظام .. لقد تساءلت عن مغزى وجود غاز (الكلورو فلورو كاربون) داخل المعمل السرى ، وهأنذا أقدّم لك الإجابة .. لابد أنك قرأت بالطبع عن حالة الفزع ، التى يعيش فيها علماء البيئة والعالم ، خوفًا مما يمكن أن يتعرض له سطح الكرة الأرضية ، أو بمعنى أدق غلافها الجوى ، الذى تحميه طبقة الأوزون ، وتحول بينه وبين نفاذ الأشعة فوق البنفسجية إلى كوكب الأرض ، بما يستتبعه ذلك من كوارث رهيبة ، فتمزُّق طبقة الأوزون ، التى تحمى الغلاف الجوى ، سيؤدى إلى نفاذ أشعة الموت ، المسمّاة بالأشعة فوق البنفسجية ، لترتفع درجة حرارة الجو إلى معدلات عالية للغاية ، وهذا سيؤدى إلى ذوبان جبال الجليد فى القارة الجنوبية ، وفيضان النيل بمعدل هائل ، بما يعنيه من تعرض دلتا النيل للغرق ، فضلًا عن تأثير ذلك على البيئة

والإنسان والحيوان على سبيل المثال ، فهناك أهوال أخرى تنتظر العالم ، لو تعرض غلاف الأوزون ، الذى يحمى الأرض ، للتمزق ، وظهرت به عدة ثقوب ، تسمح بنفاذ الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض ، وهذه هى الكارثة ، التى يخشاها العالم ، والتى تنبأ بها العلماء ، وهم يجاهدون فى الحيلولة دون اتساع ذلك الثقب الضيق ، الذى ظهر فى الغلاف الجوى ، من تأثير تعرض ذلك الغلاف لغاز (الكلورو فلورو كاربون) ، وغاز (الفريون) ، المستخدم فى شحن أجهزة الثلاجات والتكييف ..

أخذ (ممدوح) يتابع حديث (لويس) وهو يربط فى ذهنه تدريجيًا بين وجود ذلك الغاز فى المختبر العلمى ، الذى يشرف عليه (لويس) ، وتلك الصواريخ المتوسطة الحجم ، داخل قواعد انطلاقها ، والشرح الذى يشرحه (لويس) ، عن تأثير ذلك الغاز على الغلاف الجوى ، وقد بدا كما لو كان مدركًا لحجم الكارثة ، التى يتم الإعداد لها فى هذا المكان ، لكن الصدمة التى شعر بها تحت تأثير إدراكه لحجم الكارثة المقبلة ، وتكشّف الحقائق أمامه تدريجيًا ، لم تمنعه من ملاحظة تلك الفجوة الصغيرة ، فى الجزء الأسفل من الحائط الحجرى القائم

أمامه ، والتى اتخذت الفئران منها معبرًا ، إلى الجهة الأخرى خلف الحائط ، وظلّت عيناه مثبتة على تلك الفجوة الصغيرة فى الجدار ، والملاصقة للأرض الترابية الواقف عليها ، فى حين راحت أذناه تتابعان حديث (لويس) ، وتسجّل بدقة كل كلمة يقولها ، حيث استطرد قائلًا :

ـ ولعلك قد أدركت الآن الهدف من وجود كميات ضخمة من غاز (ك . ف . ك .) داخل المعمل ، ووجود تلك الصواريخ الموجهة لدينا ..

لقد قررت منظمة (الكوبرا) إقامة أربع معامل سرية ، فى أربع مناطق مختلفة من العالم ، مثل ذلك المعمل ، الذى رأيته ، ومن بينها (مصر) .

قال (ممدوح ، وهو يحاول أن يبدو متماسكًا :

ـ وطبعًا بنفس الطرق الاحتيالية ، وبادعاءات مختلفة ، مثل تلك التى ادعيتموها ؛ للتسلل إلى هنا ، تحت ستار العمل ضمن بعثة التنقيب عن الآثار .. أليس كذلك ؟

جاءه صوت (لويس) قائلًا :

ـ بلى .. فلدينا العديد من الوسائل ؛ للتسلل إلى تلك البلاد ، وهناك معمل سرى آخر يتم إعداده فى

(بنجلاديش) ، واثنان سيتم تهريب معداتهما إلى جزيرة (جرينلند) ، وجزر (فوكلاند) ، باعتبار أنها من أكثر المناطق ، التى يمكن أن تتعرض لتأثير الأشعة فوق البنفسجية القاتل والمدمر ، خلال لحظات قليلة ، لو اتسعت ثقوب الأوزون ، التى تحمى الغلاف الجوى ، وما يستتبعه ذلك من اختلال جميع مقومات الحياة على الأرض نفسها ، وكوارث لاحقة ستشمل العالم بأسره .

تحدّث (ممدوح) قائلًا ، وهو يعد الفئران بقدمه ، ويمد يده عبر الفجوة القائمة فى الجدار والملاصقة للأرض :

ـ إذن فهذا هو ما كان يقصده عالم الآثار المصرى ، الذى قتلتموه قبل أن يبلغ الحقيقة للمسئولين ، وهو يتحدث عن الخطر القادم من السماء ، والعالم فى خطر ؛ وأنهم سيخربون الأرض ، وتلك الكلمات التى عدّها البعض نوعًا من الهلوسة .

لويس :

ـ تمامًا .. لقد أدرك عالم الآثار المصرى السبب الحقيقى وراء وجودنا فى هذا المكان ، وكان لابد من التخلص منه ، قبل أن يصل الأمر إلى علم المسئولين ، ويتدخل البعض فى عملنا ، قبل أن ندخل فى مراحله النهائية .



أخذت الفجوة القائمة فيه تتسع تحت تأثير حفر (ممدوح) لها بأظفاره .

وجد (ممدوح) جزءًا من الجدار يتفتت بين يديه ، متحوّلًا إلى تراب . فقد كان ذلك الجزء من الجدار متهالكًا وهشًا تمامًا ، كما أن اندفاع الفئران من خلاله إلى الجهة الأخرى عبر الجدار ، يعنى وجود مقومات للحياة ، أو على الأقل منفذ آخر خلف هذا الجدار القائم أمامه ..

وأخذ (ممدوح) يختبر بيديه بقية الأجزاء الأخرى من الجدار ، لكنها كانت صلبة وقوية تمامًا ، بعكس هذا الجزء السفلى منها ، الذى أخذت الفجوة القائمة فيه تتسع ، تحت تأثير حفر (ممدوح) لها بأظفاره ، وقد تناثرت ترابًا على الأرض ..

وتعلّقت آمال (ممدوح) بتلك الفجوة ، وقد أحس بأنها نجدة جاءته من السماء ، حتى لا ينتهى أمره ، مختنقًا بذلك الغاز السام ، الذى سيتسرب إلى الغرفة بعد قليل . لينتهى وتنتهى معه مهمته ، التى جاء من أجلها إلى ذلك المكان ، والتى أصبحت الآن أكثر أهمية مما تصوّره .. إذ من الممكن أن يكون إنقاذ العالم بأسره معلقًا على نجاحه فى تلك المهمة ..

وتعمّد (ممدوح) كسب مزيد من الوقت ، بالتحدّث إلى (لويس) ، عبر أجهزة الاستماع الموجودة فى غرفته ، حتى

ينتهى من حفر أكبر قدر ممكن من تلك الفجوة ، القابعة فى نهاية الجدار ، فتحدَّث قائلًا :

ـــ وبالطبع فإنكم تعبئون ذلك الغاز ، الذى سيتسبب فى ثقب غلاف الأوزون ، واختراق الدرع الواقية للأرض ، داخل تلك الكبسولات ، التى رأيتها داخل المعمل ، ثم تقومون بتركيب تلك الكبسولات فوق الصواريخ الموجهة ؛ لإطلاقها على المواقع التى حددتموها فى الغلاف الجوى ، والتى يظلل بعضها بوجه خاص سماء (مصر) و (بنجلاديش) ، وتلك المناطق الأخرى ، التى اخترتموها من العالم ..

وعندما تصل تلك الصواريخ إلى المواقع المختارة ، فى الغلاف الجوى ، تنفجر الكبسولات المعبأة بكميات هائلة من غاز (ك . ف . ك .) ، فينتج عن انفجارها عدة ثقوب كبيرة ، فى الغلاف الجوى ، بعد أن يؤدى انفجار الكبسولات إلى تهلهل طبقة الأوزون التى تحميه ، وهكذا تبدأ الكارثة فوق كوكب الأرض ..

ياله من تفكير مروع ، وخطة إجرامية هائلة ، فاقت كل ما عداها !! لابد أن صاحبها لا يملك ذرة واحدة من الرحمة أو الإنسانية ، ولم يدر بذهنه على الإطلاق ، ولا للحظة واحدة ،

ملايين الضحايا والخراب والدمار ، الذى لن يكون له مثيل ، لو تحققت خطته ، ولكن قل لى : ما هدفكم من تعريض العالم لتلك الكارثة ، التى خططتم وأعددتم لها ؟

لويس :

ـــ إن استنتاجك صحيح ، وتفكيرك ذكى ياسيادة المقدم .. نعم إن خطتنا تهدف إلى إعداد صواريخ موجّهة ومحمّلة بغاز (الكلورو فلورو كاربون) ، وغاز (الفريون) ؛ لإطلاقها فى مناطق معينة من الغلاف الجوى ، لإحداث خلل فى طبقة الأوزون ، يتعرض معه العالم لخطر نفاذ الأشعة فوق البنفسجية إلى الأرض ، بما يستتبعه ذلك من كوارث لا حصر لها ، وكل ذلك يمكننا أن نتحكم فيه ، ويمكننا أيضًا إيقافه ، فلو تفهّم العالم الإنذار الذى سنوجهه إليه ، بمجرد الانتهاء من إعداد الصواريخ ، وتثبيتها فى قواعدها ، استعدادًا لإطلاقها فى أى لحظة إلى السماء ، وأدرك حقيقة الخطر الداهم الذى ستتعرض له جميع الدول ومن بينها بلادكم ..أقول لو أدرك العالم ذلك ، وتفاهمت حكومات الدول ؛ لكى يدفعوا لنا خمسين مليار دولار ، فسوف تتوقف صواريخنا عن العمل ، ويضمن العالم سلامته

وأمنه .. أما إذا لم تدرك حكومات الدول ذلك ، وركب البعض رأسه ، أو حتى حاول القيام ببعض الأعمال البطولية ؛ للتدخل فى عملنا ، فسوف نضع أصابعنا على الأزرار ، وتنطلق الصواريخ ، لتبدأ الكارثة فى الوقوع .. فخطتنا تعتمد على انطلاق الصواريخ الموجَّهة ، من القواعد الأربعة فى العالم ، إذا ما تعرض أى منها للخطر ، ومن بينها هذه القاعدة ، التى يتم إعدادها فى الواحة .

قال (ممدوح) ساخرًا ، وهو مستمر فى الحفر بأظفاره :

ـــ فهمت .. إنها عملية ابتزاز .. جريمة أخرى من جرائم منظمة (الكوبرا) الإرهابية ، التى تأخذ الطابع الدولى .. ولكن دعنى أسألك سؤالًا .. لو وقعت هذه الكارثة ، التى تتحدث عنها ، وانطلقت الصواريخ من قواعدها ، لتصب السماءُ جام غضبها على الأرض ، أنسيت أنكم ستنالون نصيبكم من هذه الكارثة ؟ أم أن منظمة (الكوبرا) تنوى الرحيل بأفرادها ، بوساطة صاروخ آخر إلى أحد الكواكب المختلفة ، وربما أنك تفكر فى الهجرة فى هذه الحالة إلى القمر .

ضحك (لويس) قائلًا :

ـــ دعابة طريفة أيها المقدّم .. يمكنك أن تعتبر أننا نتصرف

فى هذا الشأن ، بطريقة علىَّ وعلى أعدائى ، كما فعل (شمشون) . فنحن مستعدون لهدم المعبد فوق رءوسنا لو لم نحصل على ما نريده .

قال له (ممدوح) متهكّمًا :

ـــ لم أكن أعرف أن الذى يتولى تسيير أعمال المنظمة الآن هم مجموعة من المجانين ، فلا يمكن لأحد أن يفكر مثل هذا التفكير إلا إذا .....

قاطعه (لويس) قائلًا :

ـــ إلا إذا كان مجنونًا .. نعم هذه هى الفكرة التى نعتمد عليها .. لن نقدم إنذارنا للعالم ، بتدمير الغلاف الجوى للأرض ، باعتبار أنه صادر من منظمة (الكوبرا) ، ولكن باعتبار أنه صادر من مجموعة من العلماء المهووسين .. مجموعة من الأشخاص لديهم لمسة من الجنون ، قد تدفعهم للإقدام على أى شىء ، وارتكاب أى فعل ، وهكذا يتحقق الأثر المطلوب ، ويزداد العالم رعبًا ، إذ يجد نفسه أمام مجموعة من العلماء ، يضعون أيديهم على صواريخ مدمرة ، ويتصفون بشىء من الجنون ، قد يدفعهم إلى تنفيذ تهديدهم فى أية لحظة ، إذا لم تتحقق مطالبهم فورًا .. هل فهمت الفكرة ، التى ننوى

استخدامها ، فى التأثير على حكومات العالم ؟ وإن كنت أعدك أننا سنتحول إلى مجانين بالفعل ، لو لم يستجيبوا لمطالبنا ، ونطلق الصواريخ .

ممدوح :

ـ نعم .. ولكن كيف سيمكنكم إقناع حكومات العالم بذلك ؟ كيف ستؤكدون لهم أنكم تحوزون مثل هذه الصواريخ المدمرة ، وأنكم جادون فى استخدامها ، لو لم تحصلوا على ذلك المبلغ الذى تطلبونه ؟

لويس :

ـ لقد عملنا حساب ذلك أيضًا .. فإذا أراد البعض التأكد من حقيقة تهديدنا ، سنقدم لهم تجربة بسيطة .. هناك ثقب صغير للغاية فى طبقة (الأوزون) ، التى تحمى الغلاف الجوى ، ويتعاون العالم أجمع على ترميمه ، وإعادة التحامه من جديد ، وباستخدام صاروخ صغير من صواريخنا المعدة للانطلاق ، وتوجيهه نحو ذلك الثقب ، فسوف يزداد اتساعًا .. وسينجم عن ذلك بعض الأخطار المحسوبة والطفيفة ، التى ستؤثر فى طبيعة الجو والبيئة ، والتى يمكن تدارك آثارها فى السنوات المقبلة ، ولكن الرسالة ستكون قد

وصلت ، والتجربة قد حققت أهدافها ؛ ليدرك العالم أننا جادون فى تهديدنا ، وفيما نحن مقبلون عليه .

وفى تلك اللحظة تسمرت أصابع (ممدوح) ، فوق كتلة صلبة من الحجر ، عجزت أصابعه عن أن تزيحها من مكانها ، كما عجزت أظفاره عن الحفر فيها .. إذن فهذه هى نهاية الفجوة ، التى أعطت له بريقًا من الأمل ، فى الهروب من غرفة الإعدام هذه ..

ونظر (ممدوح) إلى الاتساع ، الذى بلغته تلك الفجوة ، من أثر الحفر الذى قام به ، وقد أصابه شىء من الإحباط ، فلم تكن هذه الفجوة كافية سوى لأن يدفع رأسه من خلالها ، أما جسده فمن المستحيل أن يجد له مكانًا للنفاذ عبرها . وبذل (ممدوح) عدة محاولات أخرى ، باستخدام يده وأظفاره ، لتوسيع الفجوة دون جدوى ، فقد كانت ذراعه تنفذ من خلالها بسهولة ، أما ارتفاعها وجانباها فلم تكن هناك أية جدوى من بذل المزيد من الجهد ، فى زيادة اتساعها ، إذ كانت عبارة عن كتل صلبة من الحجر ..

وتصبَّبت حبات العرق على جبين (ممدوح) ، وهو يسمع صوت (لويس) الساخر ، قائلًا بشماتة :

— والآن سيبدأ الغاز فى التسرب إلى غرفتك .. وداعًا يا سيادة المقدم ، كم كنت أتمنى أن نجلب إلى ذلك المكان بعض الكاميرات التليفزيونية ، بالإضافة إلى الميكروفونات ، لأستمتع برؤيتك ، وأنت تلقى حتفك تدريجيًّا ، مختنقًا بالغاز ، ولكن للأسف لم يتسع لنا المجال للتفكير فى ذلك ؛ إذ كان يتعين علينا الالتفات لأشياء أهم . على كل حال أعدك بأن تلقى عناية طيبة بعد موتك .. فأضعك فى أحد توابيت أجدادك ، وأدفنك معهم فى مقبرتهم ، ومعك حصيلة المعلومات التى حصلت عليها منذ لحظات ، وإن كنت ستحرم .. مشاهدة اللعبة حتى نهايتها ، بعد أن ننتهى من إعداد الصواريخ ، والإعلان عن أنفسنا أمام العالم .

وأطلق (لويس) ضحكة عالية ، فى حين أخذ الغاز يتسرب تدريجيًّا داخل الغرفة .

واندفع (ممدوح) نحو الجدار كالمجنون ، وهو يضرب بيده على أحجاره الصلبة ، محاولًا البحث عن مخرج له دون جدوى ، وبدأ يتسرب إليه شىء من اليأس ، لعدم إحضار أجهزة التنقية الصغيرة ، التى كان يضعها فى أنفه ؛ لتحول بينه وبين استنشاق الغاز ، أو القناع الواقى قبل قيامه بتلك

المهمة .. وإن كان لابد أنهم كانوا سيجردونه منها ، قبل السماح له بدخول ذلك المكان ..

على كل حال لم يعد هناك مجال لمحاسبة النفس ، أو مراجعة الأخطاء ، بعد أن أصبح الموت يقترب منه حثيثًا .

وعاد (ممدوح) يضرب بيده على الجدار ، وقد شعر بأنه بدأ يستنشق الغاز ..

الغاز السام ..

* * *



٩ ـــ تحدى الموت ..

جثا (ممدوح) على ركبتيه ، وهو يضرب بيده فى شدة على كتلة الحجر ، فى الجدار ، بالقرب من الفجوة الصغيرة ، ولدهشته الشديدة وجد كتلة الحجر تتحرك ، تحت ضغط يديه ، فزاد من ضغطه على الكتلة الحجرية ، وهو يسعل بشدة ، من ازدياد تسرب الغاز داخل الغرفة ، فإذا هى تتزحزح إلى الأمام ، وحمد الله فى نفسه ؛ لأنه لم يتخل عنه فى هذا الموقف العصيب ، فلقد كان أحد أجزاء الجدار متحركًا ، وكانت المساحة المتخلفة عن زحزحة الكتلة الحجرية كافية ، لكى تسمح لجسده بالعبور عبرها ، إلى ما وراء الجدار ..

وضغط (ممدوح) بكل قوته ، برغم شعوره بالإعياء من أثر الغاز ، حتى نجح فى إبعاد الكتلة الحجرية جانبًا ، والنفاذ من خلالها ، ثم إعادتها إلى مكانها مرة أخرى ، حتى تحول بين الغاز والتسرب إلى الجهة التى نفذ إليها ..

وبرغم أن الهواء كان فاسدًا ، يحمل إليه رائحة كريهة ، فى الجهة التى عبر إليها خلف الجدار ، إلا أنه استنشقه باستمتاع ، ودون أن يعبأ بتلك الرائحة الكريهة ، فهو على كل حال أفضل من هواء مشبّع بالغاز السام ، كما أنه بحاجة إلى إعادة تنظيم شهيقه وزفيره ، حتى يتخلّص من أثر الغاز ، الذى استنشقه ، والذى كاد يجهز عليه ..

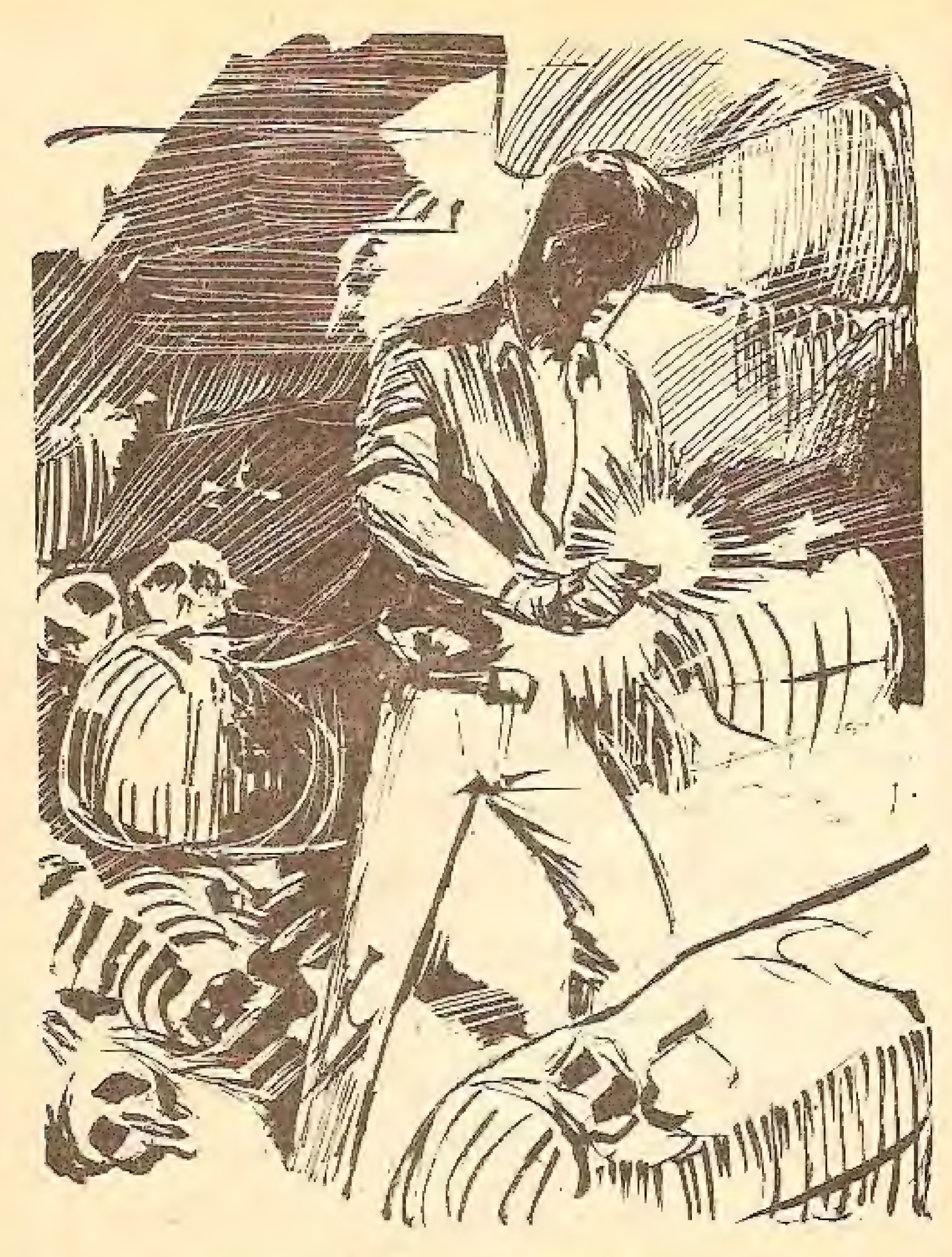
ووجد (ممدوح) نفسه فى ظلام دامس ، وكانت الأرض تحته رخوة وطينية بعض الشىء ، فأخذ يزحف على يديه وقدميه . على غير هدى ، فوق تلك الأرض ، دون أن يدرى إلى أين يقوده زحفه ، ولم يعبأ كثيرًا بتلك القوارض ، التى كانت تتحرك فى سرعة رهيبة، تحت ساقيه وركبتيه فى أثناء زحفه ، فقد كان كل همه أن يبحث لنفسه عن مخرج ، من ذلك التيه المظلم ، وفجأة شعر باتساع المكان حوله ، وأحس أنه قادر على الوقوف على قدميه ، فنهض واقفًا وهو يتحسس المكان حوله ، وأحس بشىء يلامس يديه فى حين ازدادت الرائحة الكريهة نفاذًا إلى أنفه ، وكان الشىء الذى لامسه صلبًا وجافًا ، وتذكر (ممدوح) أنه يحتفظ بإحدى تلك الأعواد الفوسفورية ، داخل ياقة سترته ، وتمنى ألا تكون تلك

الكلّابات التى أطبقت على ياقة السترة قد حطمته ، ومدّ يده سريعًا إلى ياقة السترة ؛ لينتزع العود الفوسفورىّ ، الذى أخفاه فى بطانتها ، حيث وجد جزءًا صغيرًا منه قد تحطم ، فى حين بقى العود سليمًا ..

وحكّه (ممدوح) بقوة فى كعب حذائه ، فاشتعل محدثًا بصيصًا ضئيلًا من الضوء ، كان كافيًا لكى يتبيّن ذلك المكان ، الذى قادته إليه قدماه ..

كانت هناك عشرات الجماجم والهياكل العظميّة ، وكان ذلك الشىء الصلب ، الذى لمسته يداه ، هو أحدها ..

وأدرك (ممدوح) حقيقة المكان ، الذى وجد نفسه فيه .. لقد كان داخل مقبرة .. ومن خلال بعض التوابيت والنقوش التى رآها ، تبيّن له أنها مقبرة فرعونية قديمة ، إذن فلابد أن أولئك الهاربين من طغيان الفرعون ، والذين استوطنوا هذه الواحة ، قد اتخذوا من ذلك المكان ، أسفل منازلهم الحجرية ، مقابر يدفنون فيها ذويهم ، ولابد أن بعضهم قد قام بهدم جزء من الجدار ، والاحتفاظ به ثابتًا فى مكانه ؛ لكى يتسنى له من آن لآخر تحريك تلك الكتلة الحجرية ، والتسلل إلى المقبرة ، بهدف الاستيلاء على الحلى الذهبية ، التى كان المصريون القدماء يدفنونها مع موتاهم ، وفقًا لعقيدتهم القديمة ..



كانت هناك عشرات الجماجم والهياكل العظميّة ، وكان ذلك الشىء الصلب ..

نعم لابد أن هذا هو ما حدث بالفعل ، فتلك الكتلة الحجرية المتحركة كانت من صنع أحد اللصوص القدامى ؛ بهدف الاستيلاء على الحلى الذهبية المدفونة ، دون أن يراه أحد .

وابتسم (ممدوح) فى نفسه ساخرًا على الرغم من بشاعة المكان المحيط به ، فها هو ذا رجل الأمن ، المكلَّف حماية القانون يستفيد بعد آلاف الأعوام ، من خدمات بعض اللصوص ، فيجد فى ذلك الحجر ، الذى استخدموه فى السرقة ، وسيلة لإنقاذه من الموت ..

ولكن ما دامت الكتلة الحجرية منفذًا سريًّا يؤدى إلى المقبرة ، فلا بد أن هناك منفذًا آخر ، استخدمه من قاموا بعملية الدفن ، يؤدى إلى جهة أخرى بعيدًا عن هنا .. وتحرَّك (ممدوح) داخل المقبرة ، على ضوء العود الفوسفورى ، باحثًا عن مخرج من هذا المكان ، ووجد أمامه ممرًّا ضيِّقًا ، ينتهى ببعض درجات حجرية صاعدة إلى أعلى ، حيث وجد أمامه دائرة رخامية مستديرة ، فى أعلى السلم ، بدت كما لو كانت منحوتة فى الصخر ، الذى يتكون منه الجدار ، الذى يسد الممر الضيق ، ورأى بصيصًا من الضوء ، ينفذ من خلال

الحافة الضيقة ، الملتصقة بالدائرة الرخامية المستديرة ، مما يوحى بأنه يوجد خلف الكتلة الرخامية منفذ للهروب ، فدفع أصابعه بين الدائرة الرخامية والحافة الصخرية المحيطة بها ، وانحشرت أصابعه فى تلك المساحة الضيقة ، وهو يحاول تحريك الكتلة الرخامية ، وبعد مجهود شاق تحركت الكتلة الرخامية ، تحت ضغط أصابعه ، لتأخذ شكلًا أسطوانيًّا ، وسمح له ذلك بأن يدفع جسده عبر الفجوة الدائرية ، التى كشفت عنها حركة الكتلة الرخامية ، ليجد نفسه داخل أحد البيوت الحجرية ، التى شاهدها فى الواحة ..

واندفع (ممدوح) خارجًا من البيت الحجرى ، ولكنه لم يكد يتحرَّك خارجًا ، حتى وجد نفسه وجهًا لوجه ، أمام أحد الكوريين ، الذى كان يقوم بالحفر ، على مقربة من البيت ، وبسرعة تناول الكورى معوله وتحفز للانقضاض على (ممدوح) ، ولكن (ممدوح) لم يكن يستطيع التراجع ، بعد أن قطع كل هذا الشوط الطويل ، فتفادى ضربة المعول الموجَّهة إليه ، ثم انقض على الكورى بركلة قوية فى أمعائه ، جعلته ينثنى من شدة الألم ، وحاول تسديد ضربة أخرى إلى وجه (ممدوح) بمعوله ، لكن الأخير صدّها بذراعه ، وبرغم

الألم الذى أحسه ، من جراء صد ضربة المعول ، إلا أن هذا لم يمنعه من تسديد لكمة قوية إلى وجه الكورى ، جعلته يترنح قليلاً ، فنجح (ممدوح) فى انتزاع المعول منه فى أثناء ترنحه ؛ ليضربه به على وجهه ضربة قوية ، جعلته يهوى أرضًا ..

وانطلق (ممدوح) يجرى عبر الواحة ، محاولاً الهروب من المكان ، لكن سرعان ما اعترض طريقه ثلاثة آخرون من الكوريين ، ولم يحاول (ممدوح) أن يتخذ وضعًا دفاعيًا إزاء خصومه هذه المرة ، فقد استغل دهشتهم ، من جراء رؤيتهم المفاجئة له ، واندفع نحوهم متخذًا وضعًا هجوميًا ، ليضرب كل من يقابله بالمعول الذى فى يده ضربات عنيفة ..

ونجح (ممدوح) فى الإطاحة باثنين من الكوريين ، فى حين تفادى الثالث ــ بقفزات بارعة فى الهواء ــ الضربات التى حاول (ممدوح) تسديدها إليه ، وفى إحدى قفزاته سدد ركلة قوية إلى يد (ممدوح) أطاحت بالمعول من بين أصابعه ، ثم عاد ليثب فى الهواء ، مسددًا ركلة أخرى إلى وجه (ممدوح) أخلّت بتوازنه ، لكن (ممدوح) استعاد توازنه بسرعة وهو يستعد لمواجهة خصمه ، الذى بدا مدربًا تدريبًا عاليًا ، على ألعاب الكاراتيه والكونج فو ، ومختلف أنواع القتال الصينية ..

وعاد الكورى من جديد لمتابعة هجومه ، وهو يثب فى الهواء ، محاولاً تسديد ركلة أخرى إلى وجه (ممدوح) ، ولكن هذا الأخير قفز فى نفس اللحظة ، ليقابله فى الهواء بضربة قوية ، من مقدمة حذائه فى ساق غريمه ، المعلقة فى الهواء ، وصرخ الكورى من الألم ، وهو يسقط على الأرض ، لكنه عاد لتحفّزه من جديد ، وهو يقف على قدميه ، مؤديًا بعض الحركات العنيفة بقبضتيه ، تأهبًا لمهاجمة (ممدوح) ..

واندفع الكورى كالثور المجنون ، وهو يسدّد ضرباته إلى (ممدوح) الذى نجح فى تفادى بعضها ، لكن البعض الآخر استقر على أجزاء متفرقة من وجهه ، فأسال دمه ، وأحدث به بعض الإصابات ..

وحاول (ممدوح) أن يرد ضربات خصمه بضربات مماثلة ، لكن الأخير بدا أكثر تفوّقًا ، وهو يستخدم قبضتيه بمهارة ، فى تصويب ضرباته إلى وجه (ممدوح) ، الذى لمح أثناء العراك المعول على الرمل ، تحت قدميه ، فداس بمقدّمة حذائه على عصا المعول ، فى اللحظة التى كان فيها الكورى يهم بتسديد إحدى ضرباته ، فارتفعت مقدمة المعول المعدنية إلى أعلى ، لتصطدم بذقن الكورى ، حيث أصابته بجرح قطعى أسفل فكه ..

وانتهز (ممدوح) فرصة الأثر المفاجئ ، الذى أحدثته إصابة المعول لفك غريمه ، فسدد إليه ضربة ساحقة بكلتا قبضتيه ، جعله يهوى فوق الرمال مغشيًا عليه ..

وتلفّت (ممدوح) حوله سريعًا ، وقد بدا له المكان خاليًا ، وكان من الواضح أن (لويس) وأعوانه لم يكتشفوا حقيقة هروبه بعد ، وأنهم فى انتظار أن يأتى الغاز بمفعوله ؛ لمشاهدة النتيجة ، ولمح على بعد عدة أمتار منه سيارة (جيب) ، وقد ترك أحدهم المفاتيح فيها ، فأسرع يستبدل بثوبه ثوب الكورى ، ثم تحرك نحو السيارة ، ورأى بداخلها صندوقًا من الديناميت ، فأدرك أن الحظ يسانده بأكثر مما يأمل ، وعاد لاستخدام الجزء المتبقى من العود الفوسفورى ، فى إشعال فتيل صغير ، بعد أن أوصله بعدد من أصابع الديناميت ، ثم قذف أصابع الديناميت إلى الجهة المقابلة ، ووثب داخل سيارة (الجيب) ، راقدًا فوق مقعدها الأمامى ، وهو يدير محرّكها .. وعند المدخل الضيق المؤدِّى إلى الواحة ، كان الأشخاص الثلاثة ذوو الأجسام الضخمة ، الذين اعترضوا طريقه عندما جاء إلى الواحة لأول مرّة ، بصحبة العقيد (صادق) ، مازالوا فى أماكنهم ، يراقبون الطريق المؤدِّى إلى

الواحة ، وعندما سمع أحدهم صوت محرك (الجيب) يدور ، هتف قائلًا :

ــ ماهذا ؟

قال الآخر :

ــ إنها سيارة (دريان) ، يبدو أنه يستعد لمغادرة الواحة .

لكن سرعان ما جذب ثالثهم مسدسه ، وهو ينظر إلى موقع السيارة ، قائلًا فى ارتياب :

ــ لكنى لا أرى أحدًا بداخلها .

قال الأول ، وهو يتناول مسدسه بدوره :

ــ بل إننى ألمح أحد أولئك الكوريين ، جالسًا أمام مقعدها الأمامى .

ورد الثانى قائلًا :

ــ إذن فها هو ذا أحدهم يحاول الهروب من الواحة .

وقال آخر .

ــ ربما أنه يحاول تجربة السيارة فقط ، للتنقل داخل الواحة .

رد عليه زميله قائلًا :

ـــ ولكن ماذا لو حاول مغادرة الواحة ؟

أجابه قائلًا :

ـــ التعليمات لدينا واضحة، سنطلق عليه الرصاص على الفور .

ولكن قبل أن ينتهى الرجل من عبارته ، انفجرت أصابع الديناميت ، فى الجهة المقابلة لسيارة (الجيب) ، على مقربة من الرجال الثلاثة ، فأحدثت دويًا هائلًا ، وأثارت زوبعة من الرمال فى انفجارها ، واندفع الرجال الثلاثة نحو موقع الانفجار ، وقد هزتهم المفاجأة من الأعماق ، وهتف أحدهم قائلًا :

ـــ ما هذا ؟

انتهز (ممدوح) عامل المفاجأة ، وتحوُّل الرجال الثلاثة ، واندفاعهم نحو مصدر الانفجار ، ليطلق العنان لسيارته ، وهو ينهب بها الرمال نهبًا ، متجهًا إلى خارج الواحة ..

وكان جميع من فى الواحة قد غادروا مواقعهم ؛ ليتبيَّنوا ما حدث إثر الانفجار ، فى اللحظة التى كانت فيها (الجيب) تبتعد عن المكان ، تلاحقها طلقات الرصاص ..

ولكن (ممدوح) كان يدرك أن المعركة لم تنته ..

لم تنته بعد ..

* * *

١٠ ـــ صراع مع الزمن ..

قفز (كوريل) سريعًا ، ومعه ثلاثة من أعوانه المسلحين ، داخل (جيب) أخرى محاولين اللحاق بـ (ممدوح) ، فى حين وقف (دريان) يراقب ما حدث ، وهو يسب ويلعن ، أما الوحيد الذى بدا متمالكًا لنفسه ، مسيطرًا على تفكيره ، فهو (لويس) .. الذى قال لـ (دريان) بهدوء :

ـــ إنه شيطان حقيقى ، لست أدرى كيف نجح فى الإفلات من غرفة الغاز ، والهروب على هذا النحو ؟ ولكن فلندع (كوريل) الآن يقوم بعمله ، ولنقم نحن بعملنا ، فينبغى الآن أن ننجز المرحلة الأخيرة من عملنا سريعًا ، وبكل ما نملك من جهد ، فبهذا الإنجاز لن نمكن ذلك الرجل من الاستفادة بما حصل عليه من معلومات ، فقد كنا سنخبر العالم بحقيقة مهمتنا فى النهاية على أية حال ، حالما ننتهى من عملنا .

دريان :

ـــ ولكن ذلك كان سيحدث عند إعداد بقية قواعد الصواريخ ، المعدَّة للعمل فى المناطق الأخرى من العالم .

لويس :

ـ يكفى وجود صاروخ واحد معدّ للإطلاق ، لكى يجعلنا هذا فى مركز قوة بالنسبة لهم .. إنهم لن يتجاسروا على مهاجمتنا ، طالما نستطيع أن نهدد سماء العالم فى أية لحظة ..

هيا .. فلندع (كوريل) يسعى وراء ذلك الرجل ، ولنعد نحن إلى عملنا ، فهذا هو الشىء الوحيد الهام الآن ، برغم أننى كنت آمل فى سحق تلك الحشرة التى تُدعى (ممدوح عبد الوهاب) .

وفى تلك اللحظة ، كانت سيارة (ممدوح) تقترب تدريجيًّا من موقع الطائرة الهليوكوبتر ، حيث لمحه الأعرابى ، الذى يتولى حراستها ، فأسرع برفع شباك التمويه من فوقها ، وقال له (ممدوح) ، وهو يغادر السيارة (الجيب) :

ـ هيا .. أسرع .. فهم ورائى ..

وما أن انتهى من جملته ، حتى لاحت من بعيد سيارة (كوريل) وأعوانه ، وهى تطوى الأرض طيًّا ، فقام (ممدوح) بمساعدة الأعرابى على إزاحة شباك التمويه عن الطائرة ، وشعر بطلقتين ناريتين تمران فوق رأسه ، فطلب من الأعرابى أن يقفز إلى الهليوكوبتر ، وأن يقدم له سلاحه ..

وألقى له الأعرابى بالمدفع الرشاش ، وهو يثب فوق مقعد الطائرة الخلفى ، وأمسك (ممدوح) المدفع الرشاش ، ليصب وابلًا من الرصاص نحو السيارة القادمة ؛ ليغطى هروبه ، محاولًا تعطيلهم ..

وجاءت رصاصاته بالنتيجة المرجوة ، فقد أصيب أحدهم ، فى حين أفلتت عجلة القيادة من يد سائق (الجيب) ، فى اللحظة التى انفجر فيها أحد إطاراتها ، لتنقلب على أحد جانبيها بمن فيها ..

وانتهز (ممدوح) الفرصة ؛ ليثب بدوره فوق المقعد الأمامى للهليوكوبتر ، وهو يدير محركها ..

وكان (كوريل) أول من استعاد توازنه ، واستطاع أن يزحف خارجًا من السيارة المقلوبة ، فتناول بندقيته الآلية ، وقد احتقن وجهه من شدة الغضب ، واندفع فى اتجاه الهليوكوبتر ، فى أثناء دوران مروحتها العمودية ، وأطلق عدة رصاصات من بندقيته فى اتجاه الطائرة ، اخترقت إحداها الزجاج الأمامى لمقدمتها ، واستقرت فى المقعد الخلفى ، على بعد مليمترات من رأس الأعرابى ، وأخذ (ممدوح) يستحث الطائرة على الإقلاع فى حين كان (كوريل) يتأهب لإطلاق

دفعة جديدة من رصاصات بندقيته نحوها ، وهتف الأعرابى ، قائلًا فى جزع :

ــ إنه سيضيعنا لا محالة .

قال له (ممدوح) مطمئنًا :

ــ لا تقلق .. تشبَّث فقط بالمقعد الذى تجلس فوقه ، واخفض رأسك إلى أسفل .

ثم اندفع بعجلات الطائرة فوق الرمال ، وهو يقودها فى اتجاه (كوريل) ، الذى كان يتأهب لإطلاق رصاصاته ، بجرأة لا مثيل لها ، واخترقت رصاصتان أخريان الزجاج الأمامى للهليوكوبتر ، وقد خفض (ممدوح) رأسه لتفاديهما وأصبحت لديه ثلاثة ثقوب فى النافذة الأمامية للطائرة ، ولكنه لم يتوان عن مواصلة اندفاعه بعجلات الطائرة ، فى اتجاه غريمه ، دون انتظار لإقلاعها ، وحاول (كوريل) أن يتفادى اندفاع الطائرة نحوه ، وهو يتنحى جانبًا ، بعد أن أصبحت على بُعد بوصات منه ، وتوقف للحظة عن مواصلة إطلاقه للرصاص ..

وفى هذه اللحظة بدأت الطائرة فى الإقلاع عن الأرض ، وقبل أن تعلو لأكثر من نصف متر ، قام (ممدوح) بفتح بابها الجانبى ، وأمسك عجلة القيادة بإحدى يديه ، فى حين أطبقت

يده الأخرى على الباب المفتوح فى قوة ، ليرتطم بوجه (كوريل) ، الذى كان يستعد لإطلاق رصاص بندقيته من جديد ..

وجاءت صدمة الباب المعدنى فى أثناء الإقلاع قوية ، حتى أنها أطاحت بـ (كوريل) ، لتلقى به فوق الرمال على بعد عدة أمتار ، قبل أن تعلو عن الأرض تمامًا ، ويعاد إغلاق الباب مرة أخرى ..

وعندما أسرع أعوان (كوريل) لنجدته ، وجدوه فاقد الوعى تمامًا ، وقد أحدثت الرمال الساخنة تسلخات عديدة فى وجهه وجسده ، فى حين كان (ممدوح) يلوّح له محيّيًا ، من داخل طائرته ، وهو يبتعد بها عن المنطقة ..

لقد ربح جولة ..

جولة واحدة ..

* * *

أجرى (ممدوح) اتصالًا ؛ بوساطة جهاز اللاسلكى الموجود فى الطائرة ، بمركز القيادة فى (مرسى مطروح) ، حيث طلب سرعة الاتصال بالمكتب (١٩) فى (القاهرة) ، والتأهب لتنفيذ عملية كبيرة فى واحة (البويطى) ، وعندما



أطبقت يده الأخرى على الباب المفتوح فى قوة ، ليرتطـم بوجـه (كوريل) ، الذى كان يستعد لإطلاق رصاص بندقيته من جديد ..

وصل إلى مركز القيادة ، كان العقيد (صادق) وبعض زملائه الآخرين فى انتظاره ، وصافحه (رفعت) قائلًا :

ــ حمدًا لله على سلامتك .. لقد اتصلنا بالإدارة ، واللواء (مراد) فى طريقه إلى هنا ، خلال ساعات قليلة ، حيث سيحضر بالطائرة ، كما أن جميع المعدات التى طلبتها ستكون برفقته .

العقيد (صادق) :

ــ ورجال حرس الحدود على أهبة الاستعـداد ، كما طلبت تعزيز القوة الموجودة بقوة إضافية ، من رجال الصاعقة ؛ لمواجهة كل الاحتمالات .

الرائد (رفعت) :

ــ ولكن قل لى : ما الذى كشفته هناك ، ويدعو إلى كل هذا القلق ؟

(ممدوح) :

ــ لن أستطيع أن أروى لكما شيئًا الآن ؛ فأنا بحاجة إلى ساعة أو اثنتين فقط ، من النوم العميق ، بعد كل ما جابهته خلال رحلتى إلى هنا ؛ لكى أجدد نشاطى وأستطيع التحدث عن كل شىء ، والاستعداد لما هو قادم .

العقيد (صادق) :

ـ حسنًا .. هناك سرير صغير فى غرفتى ، اذهب إليه ؛ لتحصل على قسط من النوم .

الرائد (رفعت) :

ـ وسوف نوقظك حينما يحضر اللواء (مراد) .

وذهب (ممدوح) لينام ..

وبعمق ..

* * *

جلس (ممدوح) بين اللـــــواء (مراد) والعقيــــد (صادق) ، وصديقه الرائد (رفعت) ، حول إحدى الموائد الخشبية الصغيرة ، و (ممدوح) يقول :

ـ لقد كان عالم الآثار المصرى الراحل صادقًا ، فيما قاله عن وجود خطر يهدد العالم ، فى تلك الواحة ، وسوف أروى لكم حقيقة ما يجرى هناك باختصار ؛ لأنه لا وقت أمامنا،فكل منا ومنهم فى صراع مع الزمن .

روى لهم (ممدوح) ما رآه وعرفـــــه ، فى واحـــــة (البويطى) ، عن تلك الصواريخ التى تعد لإطلاقها ، محملة بكبسولات غاز (ك . ف . ك .) ، كى تنفجر فى الطبقات

العليا من الجو ، وبدا الجميع واجمين ، بعد أن انتهى من روايته ، فى حين تمتم اللواء (مراد) قائلًا :

ـ لم أكن أظن أن الأمر ينطوى على مثل هذه الخطورة ، ولكن كيف تمكنوا من إدخال كل تلك المعدات إلى الواحة ، تحت سمعنا وأبصارنا ؟

ممدوح :

ـ ليس هذا هو المهم الآن .. المهم هو كيف نمنع وقوع الكارثة ، قبل أن يبدأ هؤلاء الشياطين فى إعلان إنذارهم ، ويصبح من المحتم علينا إما أن نستسلم لابتزازهم ، أو ندعهم ينفذون تهديدهم الجنونى .

اللواء (مراد) :

ـ سأصدر أوامرى إلى القوات الموجودة لدينا ؛ للإطباق على تلك الواحة بمن فيها على الفور .

ممدوح :

ـ لن يكون هذا حلًا عمليًا ؛ فنحن لا نعرف إلى أى مدى وصلوا فى تجهيزاتهم لتلك الصواريخ ، وقد يؤدى مثل ذلك الهجوم المباغت إلى إقدام أحدهم على أى عمل متهوّر ، وحتى إذا لم يكونوا قد انتهوا من استعدادهـم ، فلديهم بالفعل

ما يمكنهم أن يهددونا به فى تلك الواحة ، خاصة بعد كل ما رأيته من تجهيزات ، فى ذلك المختبر العلمى السرى .. إنهم يعرفون بالطبع أننى قد نجحت فى الإفلات من بين أيديهم ، وأننى قد أطلعتكم على الحقيقة كاملة ، ولا بد أنهم قد تأهبوا لمواجهة ذلك ؛ لذا علينا أن نكون حريصين فى مواجهتنا لهم .

اللواء (مراد) :

ـــ وماذا تقترح ؟

ممدوح :

ـــ سأعود إلى الواحة مرة أخرى .

هتف اللواء (مراد) قائلًا :

ـــ بمفردك ؟! هل جننت ؟ إنهم لن يسمحوا لك بمغادرتها ، إلا جثة هامدة هذه المرّة .

ممدوح :

ـــ أعتقد أن فرصتى تكمن فى أنهم لا يتوقعون عودتى بمفردى مرّة أخرى .. إنهم جاهزون لاستقبال قوات كبيرة ، وأشخاص مثل (لويس) و (دريان) سيكونون جالسين داخل مختبرهم السرى ، وأصابعهم قريبة من الأزرار ؛ لإجبار تلك القوات على التراجع لحظة اقتحامها للمكان ؛ لذا فهم

سيركزون مراقبتهم حول الواحة ، على أساس استقبال قوات كبيرة ، أما إذا تسللت بمفردى ، أو حتى وقعت بين أيديهم .....

قاطعه اللواء (مراد) :

ـــ لا تكمل .. إننى لن أوافق على شىء كهذا .

العقيد (صادق) :

ـــ وأنا أؤيد اللواء (مراد) فى هذا ؛ فلن يمكنك معالجة أمر خطير كهذا بمفردك .. إن مواجهة هؤلاء الشياطين ، الذين يعبثون بأقدار العالم ، فى واحة (البويطى) ، يحتاج إلى قوات عسكرية مدرَّبة على التدخل السريع ، ومعالجة الأمر بسرعة وحسم ، ولدينا هنا عدد من رجال الصاعقة المؤهلين ، للقيام بمثل هذا العمل .

ممدوح :

ـــ صدقنى يا سيادة العقيد ، إن رجلًا مثل (لويس) لن يمنح أية قوات ، مهما كان مستوى تدريبها ، وقدرتها على التدخل الحاسم السريع ، الفرصة للانتصار عليه وأعوانه ، فقبل أن تستطيع تلك القوات السيطرة على المكان ، والقبض على من فيه ، سيكون (لويس) وأعوانه قد بدءوا عملهم ، ولن نعرف فى تلك الحالة أية شرور ستنطلق من هذا المكان ..

إن الأمر يقتضى التعامل مع الموقف بشىء من الحكمة ، والمخاطرة المحسوبة ، حتى نفوّت على أولئك الأشرار تنفيذ مخططهم الشيطانى ..

إننا لن نستغنى عن وجود قوات مدرّبة ، وجاهزة للعمل السريع بالطبع ، ولكن دور أولئك الرجال المدربين سيأتى فى وقت لاحق ، ويجب أن يتم بتخطيط سليم ، بعد أن انتهى أنا من مهمتى أولًا .. إذ أن شعورهم بوجود تهديد حاد ومباغت سيدفعهم إلى التصرف باندفاع وتهور ، أما وجود شخص واحد مثلى ، حتى على فرض أننى وقعت بين أيديهم ، فلن يجعلهم يستشعرون بوجود خطر حقيقى يحيط بهم ويهددهم ، وبالتالى فلن يعمدوا إلى إطلاق صواريخهم ، بفرض أنهم قد انتهوا من إعدادها .

اللواء (مراد) :

ـــ ولكن كيف سيمكنك التسلل إلى الواحة مرة أخرى ؟ وما الذى ستفعله هناك ؟

ممدوح :

ـــ دعنى أشرح لكم خطتى .

وراح يشرح ..

* * *

١١ ـــ العاصفة ..

انطلقت عشرات الآلات المحرّكة للهواء تثير عاصفة رملية قوية فى اتجاه الواحة ، وقامت المؤثرات الصوتية ، التى استخدمها خبراء العمليات الخاصة ، فى إضفاء صورة طبيعية للعواصف والزوابع الرملية ، بإخفاء أصوات الآلات وهى تعمل ..

كان هناك أربعة عشر رجلًا ، يتقدّمون على مسافة عشرة أمتار من الواحة ، حاملين تلك الآلات ، وهم يدفعون أمامهم العاصفة الرملية المصطنعة ، وقد تدثروا بملابس تقارب فى لونها لون الرمال الصفراء .

ولم تلبث الواحة أن اختفت ، وسط عاصفة الرمال ، التى احتوتها من كل جانب ، وفقًا لخطة بارعة ..

ووسط زوبعة الرمال الثائرة هذه ، تقدم (ممدوح) مرتديًا ثيابًا غريبة ، تخفى جميع أجزاء جسده ، وقد وضع لثامًا على وجهه ، بحيث لا يظهر منه سوى عينيه ، اللتين اختفيتا تحت عدسات زجاجية خاصة ، تحميهما من الرمال المتطايرة ..

وفى داخل الواحة أسرع الرجال ، من الكوريين والمكلفين مراقبة الطرق المؤدية إلى الواحة ، بالالتجاء إلى البيوت الحجرية ؛ ليحتموا بها ، هربًا من العاصفة الرملية ، وقال (دريان) لـ (لويس) ، وهو يدلف إلى المختبر العلمى :

ـ يبدو أننا مقبلون على سلسلة من العواصف الرملية ، التى تشتهر بها هذه الصحراء ، وقد بدأت إحداها فى محاصرة الواحة .

قال له (لويس) بقلق :

ـ فى هذا الوقت من السنة ؟.. لم يكن هناك ما ينذر بذلك .

دريان :

ـ إن هذا النوع من العواصف لا يعرف أوقاتًا معينة ، ولا يقدم إنذارات سابقة ، ولو أن حركة الرياح بالخارج تساعد على قيام تلك العواصف ، وتنذر بتكرارها .

لويس :

ـ إن ما أخشاه هو أن يستغل بعضهم انعدام الرؤية ، الذى تسببه تلك العواصف ، فى التسلل إلى الواحة .

دريان :

ـ وسط تلك العاصفة ؟! إن ذلك يعد ضربًا من الجنون ، فالرمال الثائرة بالخارج قادرة على اختراق العيون ، وإلهاب الجلود .

لويس :

ـ حسنًا .. دعنا نواصل عملنا .. لقد فرغ الرجال هنا من تعبئة الكبسولات ، ولكننا نواجه مشكلة صغيرة فى بعض أجهزة التوجيه الخاصة بالصواريخ ، ويجب أن نجد لها حلًّا سريعًا ..

وفى أثناء ذلك كان (ممدوح) قد نجح فى التسلل إلى الواحة ، حيث عبر المنطقة المؤدية إلى البيت الحجرى ، القائم فوق المعمل السرى ، دون أن يلحظه أحد ، ودخل إلى البيت الحجرى شاهرًا مسدسه ، حيث اقترب من المصطبة الرخاميَّة ، التى عبر من خلالها أول مرَّة إلى المعمل السرِّى ، ولم يلبث أن مد يده إلى غطائها محاولًا رفعه ، لكن فجأة علا صوت من أحد جانبى البيت المظلم قائلًا :

ـ مرحبًا بك مرة أخرى يا سيادة المقدم ..

التفت (ممدوح) ؛ ليرى شخصين يتقدمان من جانبى المنزل ، وهما يصوِّبان إليه مسدسيهما ، وعرف فيهما



فجأة علا صوت من أحد جانبى البيت المظلم قائلا :

ـــ مرحبا بك مرة أخرى يا سيادة المقدم ..

(كوريل) ، الذى كان وجهه محاطًا بالأربطة والضمادات ، من تأثير الضربة التى وجهها له هو ، بباب الطائرة ، فقال له (ممدوح) ساخرًا :

ـــ أهلًا بالصديق العزيز (كوريل) .. تُرى ما الذى أصاب وجهك ، وحوَّله إلى هذه الصورة ، التى تدعو للإشفاق والأسف ؟

زمجر (كوريل) قائلًا بخشونة :

ـــ ألق مسدسك .. ودعنى أرى يديك فوق رأسك أيها الوغد .

نظر (ممدوح) إلى المسدس فى يد (كوريل) . ثم إلى المسدس فى يد زميله .. ولم ير بدًا من الامتثال للأمر ، فألقى مسدسه ووضع يديه فوق رأسه مستسلمًا فى حين قال (كوريل) :

ـــ كنت أعرف أنك ستعود إلى هنا .. وكنت أتحرّق شوقًا للقائك .

قال له (ممدوح) بنفس النبرة الساخرة :

ـــ وهذا ما دفعنى أيضًا للعودة ؛ فقد أحسست بأننى أفتقدك حقيقة .

كشف (كوريل) عن ابتسامة وحشية ، وهو يضع إصبعه على الزناد مقتربًا من (ممدوح) ، وقد صوَّب إليه فوهة مسدسه :

ـــ والآن سيكون هذا هو اللقاء الأخير بيننا ، حيث يمكننى أن أقول لك وداعًا إلى الأبد .

بدا (ممدوح) متمالكًا لنفسه ، على الرغم من الموت الذى يتراقص أمام عينيه ، وهو يقول :

ـــ هكذا ؟ هل ستطلق رصاصاتك دون انتظار لأوامر من رئيسيك (دريان) و (لويس) ؟

كوريل :

ـــ لا تحمل همًّا لذلك ، فلن يكون هناك ما هو أكثر إسعادًا لرئيسى ، من أن أقدم لهما جثتك .

ممدوح :

ـــ هذا ما تظنه .. ولكن ربما أننى أحمل إليهما صيغة اتفاق ، سيرضى جميع الأطراف ، وسيحقق لهما الكثير مما يطلبانه .

قال له (كوريل) وهو يلصق فوهة المسدس بجبهته :

ـــ لا تحاول اللجوء إلى ألاعيبك هذه ؛ فلن تستفيد هذه

المرة من مراوغتك وخداعك ، إذ أنه لا شيء يعدل بالنسبة لى ، فى هذه اللحظة ، رغبتى فى القضاء عليك ، ولتأخذ معك اتفاقياتك إلى الجحيم .

ممدوح :

ـــ فكر قليلًا يا (كوريل) ، قبل أن تقدم على عمل أحمق ، قد تندم عليه .. أنت تعرف أن ما لدىَّ يهم (لويس) و (دريان) جدًّا . انظر إلى هذا . ورفع إحدى يديه من فوق رأسه بحركة مباغتة ، بعد أن نجح فى جذب دبوس صغير ، كان يخفيه بين خصلات شعره ..

كان دبوسًا رفيعًا ، ولكنه يحتوى على مادة كيميائية ، تسبب التهابات حادة لا يمكن احتمالها إذا ما أصابت أى جزء من أجزاء الجسم ، سواء أكان لحيوان أم لآدمى ، وقبل أن يتبين (كوريل) ما حدث ، كان (ممدوح) قد قذف الدبوس الصغير فى عين (كوريل) الجاحظة ، وصرخ (كوريل) من الألم ، وهو يطلق رصاص مسدسه ، فى اللحظة التى جلس فيها (ممدوح) على ركبتيه ، متفاديًا الرصاصة ، التى انطلقت لتصيب المسلح الآخر ، الذى كان يقف خلف (ممدوح) تمامًا ..

كان تصرّفًا سريعًا وحاسمًا تسبّب فى إفلات (ممدوح) من موت محقق ، لقد كان أكثر استعدادًا لمواجهة الخطر هذه المرة ، فانقضّ بسرعة على (كوريل) ، محيطًا خصره بذراعيه ، ليلقى به على الأرض ، فى حين كان زميله يتلوّى من الألم ، بعد أن استقرّت الرصاصة فى كتفه ..

وأطاح (ممدوح) بـ (كوريل) أرضًا ، وجثم فوقه مطبقًا بقبضته على يده الممسكة بالمسدس ، وأخذ يدفعها بقوة فى الجدار الحجرى ، حتى أفلت المسدس من يده ، فى حين أخذت قبضته الأخرى تؤدى عملها ، فى توجيه عدة لكمات قوية إلى فك غريمه ، أنهت مقاومته ، وأسلمته إلى غيبوبة طويلة ..

وكان الرجل الآخر قد جثا على ركبتيه ، واضعًا إحدى يديه فوق كتفه المصابة ، ويده الأخرى تمتد لالتقاط المسدس ، الذى سقط منه على الأرض ، لكن لكمة ساحقة من (ممدوح) أطاحت به بعيدًا عن المسدس ، وألقت به على ظهره ، عاجزًا عن الحراك ، ثم تناول (ممدوح) المسدسات الثلاثة ،وعاد لمتابعة العمل الذى بدأه ، فى إزاحة غطاء المصطبة الرخامية عن مكانه ، واحتاج الأمر منه إلى جهد خارق ، حتى استطاع إبعاد

الغطاء ، ثم بدأ يهبط درجات السلم الحجرى ، الممتد داخل السرداب ، ولكنه لم يكد يصل إلى الدرجات الثلاث الأخيرة من السلم الحجرى ، حتى وجد نفسه وجهًا لوجه أمام أربعة من الكوريين ، المسلحين بتلك السيوف الحادة اللامعة ..

ولم يكن لـ (ممدوح) أن يتراجع فى هذه اللحظة .

لقد وثب من فوق درجات السلم ، فى اتجاه اثنين من الكوريين ، ملقيًا بهما على الأرض ، كما لو كان فهدًا ينقضُّ فى هجوم مباغت ، واستطاع أن ينتزع من أحدهما سيفه ، ثم هب واقفًا فى مواجهة الاثنين الآخرين ، ملوّحًا بسيفه فى الهواء ، واستطاع بضربة قوية أن يطيح بسيف أحدهما فى الهواء ، لكنه لم يلبث أن وجد نفسه فى موقف حرج للغاية ، عندما قام الآخر بتوجيه ضربة قوية إلى سيفه ، شطرته نصفين ، ووجد نفسه محاطًا بالرجال الأربعة ، وقد أمسك كل منهم بسيف بتار ، فى حين يقف هو بينهم ، وفى يده الجزء المتبقى من السيف الذى استولى عليه ..

وكان موقفا بالغ الدقة ..

والخطورة .

* * *

١٢ ــ معمل الشر ..

ألقى (ممدوح) سيفه المكسور على الأرض ، متظاهرًا بالاستسلام ، ولكنه لم يلبث أن مدّ يده إلى جيبه ، محاولًا التقاط مسدسه إلا أن أحد الرجال الأربعة سارع بتوجيه ضربة قوية إلى المسدس ، أطاحت به من يد (ممدوح) ، الذى قال ، وهو يهزّ كتفيه .

ــ حسنًا أيها الأعزّاء ، إننى أعترف بأنه لم تعد هناك جدوى من المقاومة ، والآن يمكنكم أن تذهبوا بى إلى رئيسكم ، لكى تتلقوا منه التهنئة ، وأعتقد أنه سيكافئكم على هذا النجاح .

لكن (دريان) ، الذى كان قد غادر المعمل فى هذه اللحظة ، ابتسم قائلًا :

ــ لم أكن أظن أنك من الحماقة ، بحيث تجسر على العودة إلى هذا المكان .

ونظر إلى الكوريين الأربعة ، قائلًا :

ــ اقضوا عليه فى الحال .

كان الرجال الأربعة قد ظنوا أن (ممدوح) أصبح أعزل من السلاح ، بإطاحتهم للمسدس الذى حاول إخراجه من جيبه ، دون أن يفطنوا إلى أنه يحوز مسدسات ثلاثة ، وقد أخفى أحدهم ملتصقًا بساعده أسفل كم سترته . ولقد عقد (ممدوح) ساعديه فوق صدره ، قائلًا :

ــ حسنًا أيها الأعزّاء .. إننى أستسلم لقدرى المحتوم .

لكنه أسرع يجذب المسدس ، الذى أخفاه تحت كمه ، فى أثناء تظاهره بعقد ساعديه بطريقته المباغتة ، وأطلق رصاصة سريعة على أحد غرمائه ، وأحدث ذلك مفاجأة وارتباكًا فى صفوف الكوريين ، الذين تراجعوا إلى الوراء ، فأطلق (ممدوح) رصاصة أخرى ، استقرّت فى رأس آخر ، وهو يفسح لنفسه طريقًا بين أعدائه ، وتناول (دريان) مسدسه بدوره ، وقد استشاط غضبًا ، فى حين أسرع (ممدوح) باقتحام إحدى الغرف المغلقة داخل السرداب ، وهو يدفع الباب أمامه بقدمه ..

ووجد بالداخل ثلاثة من الكوريين ، يشرفون على عدد من الأجهزة ، التى تدير العمل داخل السرداب والمختبر العلمى ، مثل الأجهزة الخاصة بتوليد الطاقة الكهربائية ، وأجهزة التكييف المركزية ..

وبوغت الرجال الثلاثة بوجود (ممدوح) ، حيث كان صوت الآلات يعلو أى صوت آخـر بالخارج ، وصوّب (ممدوح) إليهم مسدسه ، وهو يأمرهم بمغادرة أماكنهم ، وبأن يولوه ظهورهم ، وهم ملتصقون بالجدار ، ثم قام بإغلاق مزلاج الباب خلفه ، قبل أن يلحق به الآخرون فى الخارج ..

وقام (دريان) بتشغيل صفّارة الإنذار التى يحملها ؛ لاستدعاء أعوانه فى الخارج . فى حين سأل (ممدوح) أحد الكوريين ، عن ذلك الباب المغلق فى نهاية الحجرة ، قائلًا :

ـــ إلى أين يؤدى هذا الباب المعدنى ؟

أجابه الكورى :

ـــ إلى المختبر العلمى .. ولكنه مغلق بوساطة دائرة كهربائية .

ممدوح :

ـــ أظن أن أحد تلك الأجهزة يؤدى إلى فتح الدائرة وفتح الباب بالتالى .

قال له الكورى :

ـــ نعم .

ممدوح :

ـــ حسنًا .. تعال لترلى كيف يمكنك أداء هذا ؟

فى تلك اللحظة كانت ضربات الكوريين تنهال على الباب الخارجى ، فى حين أطلق (دريان) رصاصات مسدسه فى اتجاه المزلاج ، وبدا أن الباب يوشك على الانهيار ، بين لحظة وأخرى ..

وفى أثناء انشغال (ممدوح) بالتفكير فى هذا الموقف العصيب ، الذى يحيط به ، وفى اقتحام (دريان) وأعوانه للغرفة التى تحصن داخلها ، كان الكورى الذى كلفه فتح الباب المعدنى ، قد مد يده إلى الحيز الضيق ، الموجود بين إحدى الآلات والأخرى ، ليتناول مدفعًا آليًا ، كان مختفيًا داخل هذا الحيز ، لكن قبل أن يجذب السلاح إليه ، كان (ممدوح) قد انتبه إلى المحاولة ، فأطلق رصاصة سريعة على ذراع الرجل ، جعلته يتراجع إلى الوراء ، وهو يصرخ ألمًا ، فقال له (ممدوح) ، الذى لا يزال محتفظًا بروحه المرحة على الرغم من دقة الموقف المحيط به :

ـــ آسف يا صديقى ، ولكن ماذا أفعل ما دمت تهوى ذلك النوع من الألعاب النارية ؟

ثم دفع به إلى الحائط مرة أخرى ، وهو يستطرد قائلًا :

ـــ على كل حال ، لا أعتقد أننى أحتاج إلى معرفة طريقة

عمل تلك الآلات ، بل لا أعتقد أننا بحاجة إليها على الإطلاق بعد الآن .

ثم أخرج من بين طيات ثيابه أربع قنابل إليكترونية صغيرة ، قام بتثبيتها فى مواقع متفرقة من المكان ، وتراجع إلى الوراء بالقرب من الباب المعدنى المغلق فى نهاية الحجرة ، وفى اللحظة التى انهار فيها الباب الخارجى ، تحت ثقل الضربات ، كان (ممدوح) يضغط زرّ التفجير المثبت فى ساعته ، فانفجرت الآلات بمعداتها الكهربائية ، فى وجه الأشخاص الذين اقتحموا الغرفة مخاطرًا بانهيار المكان بمافيه فوق رأسه ، ورأس أعدائه ..

وبالفعل أخذ سقف الحجرة يتهاوى ، إثر الانفجار ، وتناثرت أجزاؤه الحجرية وأتربته لتملأ المكان ، وتدفن الرجال والآلات تحتها ، وانهار جزء من السقف المتداعى فوق (ممدوح) ، وكذلك انهالت الأحجار المتساقطة فوقه ، مما أصاب جسده بجروح متعددة ، ولكنه تحامل على نفسه ، وأخذ يرفع عنه الأتربة والأحجار الصغيرة ، محاولاً النهوض من جديد ، ولكنه لم يكد ينجح فى الوقوف على قدميه ، حتى وجد (دريان) أمامه على الأرض ، وقد دُفِنَ نصفه الأسفل تحت

كومة كبيرة من الأحجار والأتربة ، فى حين كانت يده قابضة على مسدسه فى إصرار ، وقد استقرت أصابعه على الزناد ، وأطلق ضحكة هستيرية قائلًا :

ـــ إنك لن تنجح فى الانتصار علىّ أيها المقدم .. أبدًا .. لن تنجح كما نجحت مع الآخرين .. سأثبت لك وللجميع أنه لم يوجد من ينجح فى الانتصار على (دريان) . فبسببك أصبحت عاجزًا عن الحركة ، بعد أن حطّمت تلك الأحجار المتساقطة ساقى ، لكننى سأجعلك تفقد حياتك مقابل ذلك ، وهكذا أكون أنا الرابح فى النهاية ، فساقى مقابل حياتك .. هل تفهم ذلك ؟

وعاد لإطلاق ضحكاته الهستيرية ، كما لو أصابته لوثة عقلية ، وكان (ممدوح) بدوره عاجزًا عن الحركة ، وكل تلك الأحجار تحيط بقدميه ، وقد فقد مسدسه الثانى فى أثناء انهيار سقف الحجرة فوقه ، ووجد نفسه هدفًا ثابتًا وواضحًا ، لرجل يصوب إليه مسدسه ، وقد تملكته حالة من الجنون المؤقت ..

وضغط (دريان) زناد المسدس ، لكن الرصاص لم ينطلق من ماسورته ، وسرعان ما تبين له أن الأتربة المتساقطة من

السقف قد سدّت ماسورة المسدس وأصابته بالعطب ، فحاول أن يكرر المحاولة مرة أخرى ، ولكن (ممدوح) أسرع يتناول أحد الأحجار المحيطة بساقيه ، وصوبه إلى يده القابضة على المسدس ، فأطاحت به فى الهواء ، ولم يلبث أن حرّر ساقيه من الأحجار والأتربة المحيطة بها ، وتناول المسدس الآخر ، الذى كان يحتفظ به تحت حزامه . من الخلف ، واقترب من (دريان) مصوّبًا إليه مسدسه ، وهو يقول :

— كم كنت أتمنى أن أقضى عليك ، عقابًا لك على جرائمك ، ولكى أريح العالم من شرورك ، التى كادت تفتك به ، لكننى لا أطلق الرصاص على رجل عاجز .

ثم تحوّل عنه متّجهًا إلى الباب المعدنى ، الذى يفصل الغرفة عن المختبر العلمى ، وثبت به إحدى القنابل الإليكترونية الصغيرة ، بعد أن أصبح معزولا عن الدائرة الكهربائية ، التى كانت تحيط به ، إثر انفجار آلات الطاقة ، وضغط على زر التفجير ، فانهار الباب ، وأسرع هو باقتحام المختبر العلمى ، شاهرًا مسدسه ، حيث وجد (لويس) واقفا بالقرب من أحد أجهزة الإطلاق ، التى ثُبّت فيها اثنان من صواريخه ، فى حين كان سقف المختبر مفتوحًا ، وقد نفذت منه أشعة الشمس ، وقال (ممدوح) لنفسه :

— إذن فقد كان سقفًا متحركًا يمكن توجيه الصواريخ إلى طبقات الجو العليا مباشرة ، دون انتظار لإعداد قواعد خاصة للإطلاق !.. يا له من عمل ، ذلك الذى أقاموه هنا !!

بقى (لويس) محتفظًا بهدوئه ، وهو يقف بجوار الجهاز ، وقد وضع أصابعه على أحد الأزرار العديدة الموجودة به ، قائلًا :

— ما زلت أملك زمام الموقف يا سيادة المقدم ، بالرغم من كل ما تسببت فيه من خسائر ، منذ حضورك إلى ذلك المكان ، فأى تصرّف أحمق من جانبك سيجعلنى أضغط على هذا الزر ، مطلقًا صاروخين من الصواريخ الأربعة ، ليؤديا عملهما فى السماء ، وأنصحك بالتخلى عن هذه اللعبة ، التى تحملها فى يدك ، فهى لن تفيدك بشىء .

قال له (ممدوح) ساخرًا :

— أنت تعرف جيّدًا أن خدعتك هذه غبية يا مسيو (لويس) ، ولن تؤثر على رجل مثلى ، بأى حال من الأحوال ، فلا تحاول التظاهر بقوة مفقودة ؛ لأنك تعلم جيّدًا أننى قد دمرت كل الآلات وأجهزة الطاقة ، التى كنت تعتمد عليها فى تنفيذ عملك الإجرامى ، وبالتالى فقد أصبحت

صواريخك هذه عاجزة عن الحركة ، وغير قادرة حتى على الوصول إلى هذا السطح المفتوح ، لتغادر المعمل ، كما أنك تعلم جيدًا أن مسدسى هذا ليس مجرد لعبة ، وأنه ما زال يؤدى عمله على الوجه الأكمل ، أما إذا أردت أن تتحدث عن الألعاب فهذا الجهاز ذو الأزرار قد أصبح الآن واحدةً منها .

قال (لويس) ، وهو يجذب مسدسًا كبيرًا من فوق الجهاز :

ـ حسنًا .. أنا أيضًا لدى أحد تلك الأشياء ، التى تؤدى عملها على الوجه الأكمل .

وأطلق رصاصة مباغتة على (ممدوح) فأصاب ذراعه ، وعلى الرغم من الألم ، الذى أحدثته الرصاصة ، أسرع (ممدوح) بالانبطاح على وجهه ، وراء أحد الأجهزة الأخرى ، متفاديًا دفعة من الطلقات السريعة المتوالية ، التى صوبها نحوه أحد الكوريين ، من مدفع آلىّ فى يده ، وجاهد لكى يحتفظ بيده ثابتة ، لا ترتعش من إثر الإصابة ، ليطلق رصاصة محكمة التصويب ، استقرّت فى جبهة الكورى المسلّح ، قبل أن يعمد لاستخدام مدفعه مرة أخرى ، وفى تلك اللحظة استعد بقية الأشخاص داخل المعمل ، لاستخدام

ما بحوزتهم من أسلحة ضد (ممدوح) ، بعد أن أصبح محاصرًا فى أحد الأركان ، وقد احتمى بأحد الأجهزة ، ولكن فجأة امتدت عشرات من الحبال ، عبر الطاقة المفتوحة فوق المعمل ، ليهبط منها رجال الصاعقة ، تحت ستار من طلقات الرصاص ، التى أطلقها زملاؤهم فى أعلى السطح المكشوف ؛ لتأمين عملية إنزالهم ، والحيلولة بين الكوريين وإطلاقهم الرصاص ، على المجموعة الهابطة داخل المعمل ..

وصرخ (لويس) فى أحد أعوانه ، لدى مشاهدته لهذا المشهد قائلًا :

ـ السطح .. هيا أغلق سطح المعمل سريعًا ؛ لكى تمنعهم من الهبوط ، وليتكفل الآخرون بالمجموعة الهابطة .

قال له الكورى فى جزع :

ـ ولكنك تعرف يا سيدى أن الأجهزة الكهربائية لا تعمل ، فكيف سيمكنك تحريك السقف المعدنى ؟

صرخ فيه (لويس) قائلًا :

ـ أيها الغبى استخدم ذراع الإغلاق اليدوية ، إنها بجوارك تمامًا .

اندفع الرجل لاستخدام ذراع الإغلاق ، لكنه وجد

(ممدوح) يبرز له ويصوب إليه مسدسه قائلًا على الرغم من آلامـه :

ـــ لا أنصحك بذلك يا صديقى .

وفى تلك اللحظة اندفع (لويس) محاولًا مغادرة المعمل ، لكى ينجو بنفسه ، فى حين سقط بعض رجال الصاعقة صرعى ، إثر إطلاق الكوريين الرصاص عليهم ، وساعد (ممدوح) مجموعة الرابضين فوق سطح المعمل المفتوح ، فى إطلاق الرصاص على الكوريين ، الذين حاولوا التعرض للرجال الهابطين بالحبال ، وسرعان ما احتدمت المعركة داخل المعمل ، بين الكوريين ورجال الصاعقة ، فى حين اندفع (ممدوح) وراء (لويس) ؛ ليمنعه من مغادرة المعمل ، وهو يحاصره فى أحد الأركان قائلًا :

ـــ طريقك ينتهى هنا يا مسيو (لويس) .

لكن (لويس) سارع بتناول أحد أنابيب ضخ غاز (الكلورو فلورو كاربون) المعدنية ، والتى كانت على مقربة منه ، لينهال بها على ذراع (ممدوح) الجريحة ، وصرخ (ممدوح) من شدة الألم ، وقد سقط المسدس من يده أرضًا ، وحاول ـــ برغم آلامه ـــ أن يمد يده لتناول المسدس ، لكن (لويس) داس

على يده بحذائه فى قسوة وعنف ، ثم ألقى أنبوبة الضخ المعدنية على رأسه ليسقط على الأرض ، وهو يكاد يفقد وعيه إثر الضربة ، والألم الذى ازداد قسوة فى ذراعه ، وتناول (لويس) المسدس الملقى على الأرض ، ليصوِّبه إلى (ممدوح) قائلًا :

ـــ لو كان العمل الوحيد ، الذى نجحت فيه فى ذلك المكان ، هو قتلك ، فسوف أكون راضيًا عن ذلك . .

لكن (ممدوح) أسرع يلتقط أنبوبة الضخ ، الملقاة على الأرض بجواره ، وأسرع بتحريك قرص التشغيل فيها ، موجِّهًا فوهتها نحو وجه (لويس) ، الذى طاشت رصاصته فى الهواء ، على بعد مليمترات من أذن (ممدوح) ، فى حين غطَّت سحابة من غاز (الكلورو فلورو كاربون) وجهه ، فأخذ يسعل بشدة ، وهو يمسك رقبته المختقنة ، وقد كاد يختنق ، ثم لم يلبث أن خرَّ جاثيًا على ركبتيه ، وتخلَّى عن المسدس ، ليسقط على الأرض وقد احتقن وجهه من شدة السعال . .

ولم يجد (ممدوح) فى نفسه القدرة حتى على أن يمد يده لتناول المسدس الملقى إلى جواره ، فقد كان العمل الأخير

الذى نجح فى تأديته ، هو إطلاق ذلك الغاز الذى كان سيهدد سماء العالم ، ثم غاب عن الوعى بعدها تمامًا .

* * *

استرد (ممدوح) وعيه ، ليجد نفسه راقدًا فوق فراش نظيف ، داخل حجرة أنيقة ، لها أرضيَّة برَّاقة لامعة ، وبجانبه آنية زهور ، وسرعان ما اتضحت له الوجوه الثلاثة المحيطة به ، والملتفَّة حول فراشه ، فقد كانوا نفس المجموعة ، التى خططت معه لعملية واحة (البويطى) : اللواء (مراد) ، والعقيد (صادق) ، والرائد (رفعت) ، ونظر (ممدوح) إليهم بدهشة ، كما لو كان يراهم لأول مرة ، ثم إلى تلك الأربطة والضمادات المحيطة بذراعه المعلّقة حول كتفه ، قائلًا :

ـــ أين أنا ؟

ابتسم اللواء (مراد) قائلًا :

ـــ إنك فى المستشفى .. لقد كانت إصابتك خطيرة ، لكننا نجحنا فى نقلك إلى المستشفى سريعًا ؛ بإحدى طائرات الهليوكوبتر ، وتمكَّن فريق الأطباء من إنقاذ ذراعك ، التى كانت معرضة للبتر .

ممدوح :

ـــ و (لويس) وأعوانه .. ماذا حدث معهم ؟

اللواء (مراد) :

ـــ لقد قبضنا على (لويس) وأعوانه ، واستولينا على تلك الأشياء المخيفة ، التى أرادوا استخدامها فى الواحة ، كما أجرينا اتصالاتنا سريعًا بتلك المناطق ، التى حدَّدتها فى العالم ، وأخبرناهم بحقيقة الأمر ، وحمدًا لله ، لقد نجحت أجهزة الأمن وقوات الجيش فى تلك المناطق ، فى مداهمة تلك القواعد السرية ، التى أرادت منظمة (الكوبرا) استخدامها ، فى تهديد سماء العالم ، وأمكنهم السيطرة على تلك المواقع تمامًا ، والقبض على من فيها من أعضاء المنظمة .

هتف (ممدوح) :

ـــ الحمد لله .

العقيد (صادق) :

ـــ لقد قمت بعمل بارع .

وقال الرائد (رفعت) للعقيد (صادق) :

ـــ إن المقدم (ممدوح) مشهود له دائمًا بالبراعة واقتحام الأهوال .

اللواء (مراد) :

ـــ هيا .. فلتسرع بالشفاء ومغادرة ذلك الفراش ؛ لتعود إلينا عاجلًا ، فهناك مهام أخرى في انتظارك .

ابتسم (ممدوح) قائلًا :

ـــ إنني متشوّق من الآن لذلك ، فحيـــاة الفِـــرَاش لا تلائمني على الإطلاق .

وبعد انصرافهم نهض (ممدوح) من فراشه ؛ ليلقي نظرة عابرة من النافذة الموجودة في الغرفة ، إلى الطريق العام ، حيث وجد عشرات السيارات ، وقد أطلقت العنان للعادم المنطلق منها ؛ لتلوّث الجو ، ثم نظر إلى مدخنة أحد المصانع التي تقع على مسافة غير بعيدة ، عن المستشفى ، وهي تطلق أيضًا سحابة من الدخان الأسود الكثيف إلى عنان السماء ، وأسرع يغلق النافذة وهو يسعل ، ثم قال لنفسه :

ـــ يبدو أن (لويس) وأعوانه ليسوا وحدهم الذين يشكلون خطرًا على السماء ،وعلى الجو المحيط بنا .

وعاد يستلقي على فراشه ..

* * *

(تمت بحمد الله)

سماء الخطر

وقبل أن ينتهى (ممدوح) من عبارته، كانت ماسورة معدنية قد تدلّت من سقف السرداب، وفى نهايتها كلّابتان أشبه بالمخالب؛ لتطبق على ياقة سترته، وترفعه إلى أعلى، فى سرعة غير عادية ..

المؤلف



أ. شريف شوقى

إدارة العمليات الخاصة
المكتب رقم (١٩)
سلسلة روايات
بوليسية للشباب
من الخيال العلمى

٥٠

العدد القادم

التاج الذهبى

الثمن فى مصر ١٠٠ ص وما يعادله بالدولار الامريكى فى سائر الدول العربية والعالم